الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد الصديق بن يحي–جيجل–

كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

عنـــوان المذكـــــرة

الإسهامات التعليمية من خلال آثار محمد البشير الإبراهيمي

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في اللغة العربية وآدابها
تخصص : علوم اللسان العربي

إعداد الطلبة:
✓ جمال الدين سالم
✓ إعتدال حسيب

إشراف الأستاذ:
د. بوزيد مومني

لجنة المناقشة

1/ الدكتورة: فاطمة الزهراء عطية..... رئيسا
2/ الدكتور: بوزيد مومني..... مشرفا
3/ الأستاذ: رابح محاوي..... ممتحنا

السنة الجامعية : 1436–1437هـ/ 2015–2016م

بســـــم الله الرحمــن الرحيـــم

" يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتو العلم درجات والله بما تعملون خبير"

صــدق الله العظيـــم

سورة المجادلة . آية 11

شكـــر وعـرفـان

الحمد لله منزل الكتاب وهازم الأحزاب ومجري السحاب وخالق خلقه من تراب إلهي نقدم لك الحمد والشكر على عظيم عطاياك، فمنك القوة في لحظات الضعف، ومنك العلم في أوقات الجهل، لك وحدك المنة، أعنت فيسّرت ويسّرت فأعنت، وأمددتنا بعونك وتوفيقك لإتمام هذه الرسالة حتى ظهرت بهذه الصورة.

وبعد شكرك يشكر الناس،لأن شكر العباد مما أمر به الشرع، لذا نتقدم بخالص الشكر والتقدير والعرفان إلى من أشرف علينا وكان نعم الناصح والموجه لنا، إلى الأستاذ الدكتور بوزيد مومني الذي تحمل أخطائنا، وصحح مسارنا بلسان صادق وصدر رحب، فجزاه الله خير الجزاء.

كما نتقدم بخالص الشكر والتقدير إلى كل من ساهم أو قدم يد المساعدة بعون أو بنصح أو توجيه أو حتى بكلمة طيبة ونخص بالذكر:

الأستاذة عطية فاطمة الزهراء التي كانت نعم السند وقت الحاجة

والأستاذ بشير أعبيد الذي كان نعم الموجه

وإلى كل من شاركنا بجهد أو دعاء أو كلمات تشجيع

إليهم جميعا نتقدم بخالص الشكر والتقدير والاعتراف بالجميل

شكرا

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــــــة

يعد التعليم من أهم عناصر الحياة التي تعطي للإنسان معنى لوجوده، وهو أهم أهداف الرسالات السماوية، فقد جاء الأنبياء والرسّل معلمين للإنسانية بالدرجة الأولى واستطاعوا بتوفيق من الله تعالى أن يوصلوا الإنسانية إلى مرحلة يكون الناس فيها قادرين على الاعتماد على ذواتهم، فالتعليم هو عملية اكتساب المهارات والخبرات والمعلومات التي يحتاج إليها الإنسان ليكون قادرا على الإبداع وخلق الجديد والإضافة إلى الإنسانية وإلى التراكم المعرفي الذي ابتدأ منذ آدم عليه السلام ولا يزال مستمرا إلى أن يأخذ الله تعالى الأرض ومن عليها، وقد أصبح التعليم في بلداننا العربية يعتمد على الكم أكثر من النوع وهو ما سبب للعرب ويلات ونكبات خطيرة، فما أن ينهي الطالب مرحلته الدراسية يكون ناسيا لكل ما تعلّمه وكأنه لم يقض زهرة عمره وهو يكد في المدارس والكليات والجامعات، ولعل ذلك راجع إلى نفسية المتعلمين في عصرنا الحالي ومشاغل حياتهم اليومية أو ميولاتهم الشخصية التي تجعلهم لا يعيرون للتعليم أهمية كبيرة وكأنهم مجبورين على الدراسة أو مغصوبون عليها، أو أن ذلك راجع إلى مناهج التعليم المعتمدة في مدارسنا العربية والتي أخذناها عن غيرنا وطبقناها بحذافيرها دون أن نتولى دراسة مضامينها، وهل تتماشى مع قيمنا الأخلاقية وديننا الحنيف أم تخالفه.

فكما نحمد الله على نعمة الإسلام نحمده كذلك على نعمة العلم، هذه النعمة التي تجسدت ورسخت في كل مجتمع ودولة بفضل جهود وكفاح شخصيات عظيمة يفتخر التاريخ بوجود مثلها في أي مجتمع ونخص بالذكر مجتمعنا الجزائري لأن الحديث عنه يعني الحديث عن الاستعمار الفرنسي الذي أراد ان يطمس هوية الشعب الجزائري ويخفي لغة القرآن من الوجود، ولولا كفاح بعض الأفذاذ المعدودين والعلماء الكبار لطمست الهوية الجزائرية ومُحي الدين الإسلامي من عقول شعبها ودخلت في عالم الجهل والظلام لغياب العلم والتعليم.

ومن يعرف رجال الجزائر العظام لن يغفل حتما عن معرفة إمام اللغة العربية وفارس البيان الشيخ محمد البشير الإبراهيمي الذي أفنى عمره في مقاومة الظلم والجهل، فأنار دروب الضالين ونوّر أذهان الغافلين، كافح الاحتلال

بسلاح اللغة والفكر الإسلامي فتمكن أيّما تمكن في لغة الضاد فبث فيها الروح في ربوع الوطن الأسير بعد قرن من الطمس والإذلال، وغاص في أسرارها وأبحر في لجة آدابها، ونهل من آثار عربها وأعرابها وتربّع على عرش الإصلاح فسعى لرأب الصدع الذي ألمّ بالهوية الجزائرية العربية الإسلامية ودعا أبناء الأمة إلى نبذ الفرقة والتحلي بالروح الوطنية.

والإبراهيمي سياسي ذكي، وخطيب مصقع قوي الإقناع، مخلص في أعماله، صادق في أقواله، واسع الحيلة وقوي القلب وحاضر البديهة، اكتسب بعزمه الصادق ونضاله المتواصل في سبيل إصلاح حال بلاده إعجاب العالم في ظروف حرجة، فساهم في إخراجها من ظلم الطغيان وجهل العميان، وحررها من الاستعباد ووهب لشعبه طريقا منيرا يضيئه العلم وتقويه الأخلاق، فألّف للشعب رجالا وعمل لتحرير عقوله تمهيدا لتحرير أجساده، وصحّح له دينه ولغته فأصبح مسلما عربيا، وصحّح له موازين إدراكه فأصبح إنسانا أبيّا، ساعيا وراء ذلك لإرضاء ربّه وإرضاء شعبه.

وقد جاء بحثنا هذا الموسوم بـ "الإسهامات التعليمية من خلال آثار محمد البشير الإبراهيمي"، يخص الحديث عن أهم وأعظم إنجازات هذا المفكر والداعية المصلح الحكيم وجهوده الجبارة في مجال العلم والتعليم، تلك الجهود والإسهامات العظمى التي ذكرها منذ بداية رحلته التعليمية وكفاحه ضد المستعمر في جل كتبه ومقالاته ومعظم آثاره، والتي كانت سببا في تحرير العقول والثورة على المستعمر والحفاظ على لغة الدين ونشرها بكافة السبل، وكان أهم سبيل لذلك هو تعميم التعليم في القطر الجزائري، الذي قال عنه في أحد خطبه الإرشادية أنه أساس الوطنية وقطب رحاها ومركز دائرتها ودليل سيادتها ولا حق للفرد على الوطن بل الحق كله للوطن على الأفراد، ومن حقوقه عليهم أن يحققوا بالعلم مطالبه ويعمروا بالعلم جوانبه وينيروا بالعلم غياهبه، وكان يرى أن العلم هو السلاح الأقوى والفعال في مواجهة المستعمر وتأكيد وحدانية ومفهوم العروبة والإسلام، ولو اقتدينا بهذا العالم

الكبير والداعية المصلح وطبقنا ما نادى به حرفيا فيما يخص المناهج التعليمية وطرق التعليم والتربية الصحيحة لكنّا بألف خير مما نحن عليه الآن نتيجة جهلنا بأحكام من هو منّا وإتّباع ما يملى علينا ممّن هو ليس منّا.

وتستوجب طبيعة هذه الدراسة اتباع المنهج الوصفي بآلية التحليل والاعتماد على المنهج التاريخي الذي يمكننا من العودة إلى المرحلة التاريخية الذي وُجد فيها عالمنا الكبير والإحاطة بجميع الظروف والملابسات الداخلية والخارجية التي دفعته لتحقيق أهدافه التعليمية والإصلاحية والإطلاع على آلياته في العمل ومناهجه المتّبعة في ترسيخ أفكاره حول العلم والتعليم.

وقد دفعنا الحديث عن جهود العلامة الجزائري محمد البشير الإبراهيمي وإسهاماته التعليمية الفذة في القطر الجزائري إلى طرح بعض التساؤلات كإشكالية لهذا البحث منها:

1- ما هي مكانة محمد البشير الإبراهيمي في الجزائر عامة وفي التعليم خاصة؟.

2- ما أهم الدوافع والأسباب التي جعلت البشير الإبراهيمي يهتم بترسيخ التعليم في الجزائر؟.

3- ما أهم المنهجيات التعليمية التي نادى بها الإبراهيمي ودعا إلى تطبيقها في كافة الأطوار التعليمية؟.

4- ما أهم الإسهامات التي قدمها البشير الإبراهيمي للتعليم ؟.

5- لماذا لم نجعله المثل الأعلى والقدوة الحسنة للاقتداء به في المجال التعليمي واعتمدنا على ما يقدّمه الغرب لنا؟.

ومن بين الأسباب التي دفعتنا لاختيار هذا الموضوع أنه يهتم بالدرجة الأولى بعالم جزائري ترك بصمته على منحى الفكر وساهم في إنجاح التعليم في زمن كان من الممكن أن يقضي فيه الاحتلال على كل شيء، ولأنه كذلك يتصل بتراث الشيخ الإبراهيمي من خلال ما خلفه من آثار عظيمة، بالإضافة إلى الرغبة في الحديث عن نهضة التعليم في الجزائر والتي كانت على يد هذا العلامة الجزائري ومحاولة التذكير به وبقيمته وجهوده الكبيرة في ميدان التعليم والإصلاح وكذا الاعتراف بفضله العظيم ودوره في تعليم الأمة وتنوير العقول.

كما وجدنا أن الحديث عن التعليم في عصر البشير الإبراهيمي له أهمية كبيرة من حيث معرفة تاريخ التعليم في الجزائر وحاله قبل الاستعمار وبعده، لتذكير القارئ بمساوئ الاستعمار وأفعاله المشينة ومحاولاته العديدة في القضاء على الهوية الجزائرية من خلال تحطيم التعليم الجزائري، وتنبيه القارئ كذلك إلى أن التعليم في الجزائر في عصرنا الراهن لم يوجد من العدم، وإنما بفضل جهود العلماء الكبار الذين سهروا لإحيائه وبخاصة عالمنا الإمام البشير الإبراهيمي.

وكانت الأهداف المتوخاة من هذه الدراسة:

1- استكمال الجهود السابقة وإثراء الموضوع بكل ما هو جديد.

2- إبراز جهود العلامة الجزائري وإسهاماته التعليمية الجبّارة.

3- بيان أهمية المناهج والوصايا التعليمية التي نادى البشير الإبراهيمي بتطبيقها ودورها في تطوير التعليم.

4- دراسة مرتكزات الإبراهيمي في بناء فكره التعليمي المحلي واستشرافه للمستقبل.

5- محاولة التذكير بهذا العالم الكبير والداعية المصلح الذي كان له أثر كبير على الجزائر.

6- إضافة عمله إلى ما وجد من الحضارات الغربية.

وللإجابة على الأسئلة المطروحة وتحقيق الأهداف المرجوة من هذه الدراسة، قسمنا عناصر بحثنا فضلا عن مقدمة وخاتمة إلى فصلين، الأول نظري والثاني تطبيقي مع التعريف بالبشير الإبراهيمي وذكر نبذة عن حياته وأعماله ومؤلفاته وذلك بتخصيص ملحق للتفصيل في ذلك، فتحدثنا في الفصل الأول بعنوان التعليم والتعليمية في المدارس الجزائرية، والذي خصصنا له مبحثين الأول بعنوان مفهوم التعليم والمناهج التعليمية والثاني بعنوان البدايات التاريخية للتعليم على يد البشير الإبراهيمي عن مفهوم التعليم والتعليمية وذكر المناهج المعتمدة في المدارس الجزائرية، مع دور التعليمية في تطوير التعليم الجزائري، ثم ذكر حوصلة عن البدايات التاريخية للتعليم الجزائري وحاله عصر الاحتلال وتدخل الإبراهيمي في إحيائه بظهور جمعية العلماء المسلمين، ثم جاء الفصل التطبيقي بعنوان

الإسهامات التعليمية للبشير الإبراهيمي يحوي أربعة مباحث، الأول بعنوان التعليم ومقومات العملية التعليمية عند البشير الإبراهيمي، والثاني بعنوان مناهج التعليم عند البشير الإبراهيمي، والثالث بعنوان طرق التعليم ووسائله عند البشير الإبراهيمي، والرابع بعنوان التعليم وعناصر العملية التعليمية في المنظومة التربوية الحديثة، حديثا عن الجهود الجبارة للعلامة الإمام الإبراهيمي في التربية والتعليم والإصلاح ونظرته لمقومات العملية التعليمية من المعلم والمتعلم والمادة التعليمية والمناهج والبرامج والطرق والوسائل وذلك من خلال تحليل ما جاء في كتاباته وخطاباته حول كل ما يخص التربية والتعليم.

وقد اعتمدنا على بعض المصادر والمراجع التي كانت أهمها جريدة البصائر، وكتاب آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي لأحمد طالب الإبراهيمي، ومجلة الثقافة التي جمعت فيها مقالات نادرة عن الإمام الإبراهيمي، إضافة إلى كتاب الشيخ عبد الحميد بن باديس لتركي رابح.

و كأي بحث علمي يطمح صاحبه إلى تحقيق النجاح فيه باكتشاف الغامض فيه أو الزيادة ولو بشيء قليل من المعرفة عنه، ونتيجة للبحث والتنقيب عن الجديد خاصة في مواضيع يقل البحث عنها يصادف الباحث صعوبات جمة في موضوع بحثه من أهمها ضيق الوقت وقلة المصادر والمراجع، وهو ما صادفناه في موضوعنا هذا الذي يدور حول التعليم عند البشير الإبراهيمي، حيث وجدنا صعوبة بالغة في الحصول على آثاره ومقالاته وخطاباته وجاء ذلك في وقت ضيق لم يسمح لنا بالخروج والبحث عن كافة الكتب المساعدة في مكتبات خارج الولاية، وما وجدنا إلا القليل فقط ساعدنا والحمد لله على إخراج هذه المذكرة إلى الساحة العلمية وما زادنا من قلة المصادر وصعوبة البحث عنها وضيق الوقت إلا إصرارا وعزيمة من أجل المضي قدما في مشوار بحثنا هذا.

مـدخـــــــــل

وجدت الجزائر نفسها بعد الاستقلال أمام ظاهرة الأمية المتفشية وتخلف اجتماعي متجدرين، كون الشعب الجزائري كان ضحية هيمنة مطلقة من طرف المستعمر الذي فرض سلطته الكاملة عليه ومارس جميع الطرق والأساليب الاستعمارية للقضاء على هويته الوطنية، من بينها التجهيل وسياسة القمع والإبادة الجماعية مع تشريد السكان في الجبال، ولم يكتف بذلك فقط بل أوقف التطور الطبيعي للغة العربية والثقافة الوطنية وفرض مكانها لغته وثقافته حتى يضمن لنفسه هيمنة شاملة لا مفر منها، "وقد ورثت الجزائر بعدما استرجعت سيادتها منظومة تربوية أجنبية بعيدة كل البعد عن واقعها من حيث الغايات والمبادئ والمضامين، فكان لزاما عليها أن تتخذ إجراءات فورية من شأنها التعجيل في استرجاع مكونات الهوية والسيادة الوطنية والاستجابة لطموحات الأمة في ميدان التربية والتعليم، ولذلك شهد أول دخول مدرسي في أكتوبر سنة 1962م، واتخذت وزارة التربية قرارا بإدخال اللغة العربية في جميع المدارس الابتدائية بنسبة سبع ساعات في الأسبوع، كما شكلت لجنة وطنية عقدت اجتماعها في ديسمبر من العام نفسه، حددت فيه ثلاثة اختيارات وطنية كبرى"[1] تمثلت في:

- تعميم التعليم وجعله في متناول الصغار والكبار.
- إعطاء التعريب و الجزأرة ما يستحقان من العناية بهما.
- انفتاح التعليم نحو العصرية والتحديث والتحكم في العلوم والتكنولوجيا.

كما أورث المستعمر فراغا ثقافيا رهيبا كان من تبعاته شبه انعدام للمؤسسات التعليمية إلا القلة القليلة المخصصة لأبناء المعمرين وبعض أبناء الجزائر الذين ينتمون إلى الطبقة الأرستقراطية، حيث أن التعليم لم يكن متاحا إلا لفئة من أبناء الوطن لا تتجاوز 10% من عدد الدارسين بلغة غير وطنية، فلم تجد المدرسة الابتدائية الأماكن الكافية لإشباع حاجات أبناء الشعب المتعطشين إلى العلم والمعرفة ولا المناهج الصالحة التي تخدم المجتمع الجديد، ورغم ذلك فقد سعت الحكومة الجزائرية من أجل الوصول بالتعليم إلى المستوى المطلوب بتعميمه في جميع

(1) بتصرف: حفيظة تازورتي، اكتساب اللغة العربية عند الطفل الجزائري ، دار القصبة للنشر ، الجزائر ، د.ط ، 2003 ، ص89-90.

بقاع التراب الوطني وتوفيره لكل أبنائها في المدن والقرى، وكذلك مسايرته للتطورات التي يعرفها العالم في الجانبين التكنولوجي والفكري.

وقد عرفت طرق التدريس في هذه المرحلة تعددا وتنوعا عكس المستوى الحقيقي لواقع التعليم في هذه الفترة المتقدمة، كانت بدايتها الاعتماد على الطريقة الإلقائية التي تقوم على الإلقاء من طرف المعلم والاستماع والحفظ من طرف المتعلم، ثم عرفت بعد ذلك المناهج التعليمية طرقا أخرى منها ما يعتمد حاليا في المنظومات الجديدة،أين يقع العبء الأكبر على المتعلم ويبقى المعلم مجرد قائد وموجه له ، وما يميز التعليم في هذه المرحلة هو سن قوانين جديدة تتماشى مع واقع ديمقراطية الجزائر المستقلة الحرة أهمها: ديمقراطية التعليم، الجزأرة، توحيد التعليم والتعريب. وبعد تطبيق المناهج التقليدية كبداية للمناهج التعليمية في المدارس الجزائرية، ظهر منهج المقاربة بالأهداف الذي اعتمد فيه مسؤولو المنظومة التربوية منهاجا خاصا كان هدفهم من خلاله تحقيق غايات تسمى أهدافا تربوية، وهي الترجمة الميدانية التي تمثل تطلعات المجتمع لغد مشرق، حيث "أن التدريس بواسطة الأهداف الإجرائية من النماذج التعليمية الأكثر رواجا واستعمالا في الأنظمة التربوية المعاصرة ، وهو نموذج يستمد شهرته من مكونات المنهجية التي تمكن العاملين في الحقل التربوي من وضع استراتيجيات تربوية وعلمية وعقلية دقيقة تمكن من بلوغ الأهداف المتوخاة وتحقيق النتائج المرجوة في ارتباط مع مفهومي المردودية و الفعالية".[1]

وتكمن أهمية هذه الأهداف في العملية التعليمية من خلال:[2]

1-أن أي نشاط تعليمي ينطلق من الأهداف المحددة مسبقا من قبل المخططين والمنفذين للمناهج.

2-أن الأهداف التربوية المحددة تحديدا سليما وفق المواصفات المطلوبة في صياغتها تحرك الباعث والدافع لدى كل من المعلم والمتعلم.

(1) محمد الصالح حثروبي، نموذج التدريس الهادف ، أسسه وتطبيقاته ، دار الهدى ، الجزائر ، د.ط ، د.س ، ص8.
(2) المرجع نفسه، ص 20.

3-أنها تمكن كل من المعلم والمتعلم من معرفة مستوى التحصيل خلال النشاط الدراسي اليومي والفصلي والسنوي.

4-أنها من بين المعايير التي يحكم من خلالها على مدى نجاح أو عدم نجاح عناصر العملية التعليمية.

5-أن عدم الاهتمام بتحديد الأهداف تحديدا سليما يجعل العملية التعليمية تسلك مسلكا غير واضح المعالم بالنسبة للمعلم والمتعلم.

وقد استمرت جهود القائمين على شؤون المنظومة التربوية في البحث عن مختلف البرامج والأنشطة التي تتماشى مع التعليم في العصر الحديث ، فعملت على توفير الوسائل والأدوات الضرورية للعمل والتعديل في البرامج والمواقيت بغرض الحد من تدهور المستوى العام للتعليم وتحسين نوعيته وتطوير مناهجه التعليمية من حيث الأهداف والمحتويات والوسائط المتنوعة وتطبيق كل ما وصل إليه التقدم العلمي في مجال التكنولوجيا الحديثة، وبغية تحقيق هذه المساعي تم تبني منهج المقاربة بالكفاءات كأساس لبناء المناهج الجديدة لما أظهرته الأبحاث والتجارب العالمية من فعالية هذه البيداغوجية في الأداء والمردود التربويين على مستوى تكوين المتعلمين ، كما لايزال هذا النموذج مسار دراسات وأبحاث يقوم بها مختصون داخل الوطن وخارجه لجعله أكثر سهولة وواقعية على مستوى التنفيذ للرفع من مستوى القدرات والكفاءات لدى التلاميذ وتحقيق النجاعة والفعالية للمنظومة التربوية ، ومن هنا يبرز دور المدرسة في تكوين أفراد فعالين وأكثر قدرة على التكيف مع ذاتهم و مع الآخرين، وبدلا من تقديم المعارف جاهزة فهي تسعى إلى تقديم آليات اكتسابها وفي نفس الوقت التحكم في كفاءات تصلح لمرحلة ما بعد المدرسة لمواجهة مشاكل الحياة، ولا يتأتى ذلك إلا من خلال مناهج تعليمية تستهدف مساعدة المتعلمين النمو الكامل، فجاء نموذج التدريس بالكفاءات كرد فعل لنماذج التدريس السابقة التي تنطلق في تفسيرها للتعلم من مبدأ التفاعل بين الذات والمحيط، كما يعد برنامجا شاملا لمختلف المراحل الدراسية الثلاث، فهو يسمح للمتعلم بتعلم المهارات المطلوبة بكل حرية حيث يمكن للمعلم ملاحظتها وتقويمها بطريقة إجرائية سهلة، ويهتم بالعمل

الميداني الذي يمكن المتعلم الاكتساب أكثر من الأمور النظرية، ويشدد على استعمال الوسائل و التقنيات المستخدمة في التدريس كما يقلل من الفجوة بين النظرية وتطبيقاتها، إذ أنه حرص على وضع المبادئ النظرية موضع التطبيق.

وإذا ما تطرقنا إلى الإشكاليات التي تعرض إليها التعليم في الجزائر منذ الاحتلال الفرنسي إلى يومنا هذا نجد أنها تنقسم إلى:

1-إشكاليات التعليم في مرحلة الاستعمار:

-إحلال اللغة الفرنسية وثقافتها محل اللغة العربية والثقافة الإسلامية عن طريق محاربة اللغة العربية وتعليم اللغة الفرنسية للأطفال العرب في المدارس الأهلية.

-الاستيلاء على البنايات المدرسية وطرد معلميها مما أدى إلى تناقص عدد المعلمين.

-ضعف معدل الالتحاق بالتعليم وابتعاده عن المستوى المطلوب مقارنة بالأطفال الذين بلغوا سن التمدرس ولم يلتحقوا بعد بالمدارس.

-إتباع فرنسا لسياسة الفرنسة والاندماج في التعليم الجزائري، وما يدل على ذلك أن اللغة العربية لم يكن لها وجود في التعليم الابتدائي "الذي تتكون فيه شخصية المواطن تكوينا قوميا، وأن تاريخ الجزائر وجغرافيتها مثلا يدرسان لأبناء الجزائريين في أقل من ثلاثة أسابيع طوال سنوات المرحلة الابتدائية، بينما تاريخ فرنسا وجغرافيتها يدرسان ويراجعان طوال سنوات هذه المرحلة حتى يحفظ الأطفال الجزائريون عن ظهر قلب أسماء القرى والمدن والجبال والأنهار الفرنسية، بينما يجهلون جغرافية بلادهم جهلا يكاد أن يكون مطلقا".[1]

-ضعف مستوى التعليم وانحرافه نحو الزوال، ولولا صمود الشعب الجزائري في وجه المستعمر ومقاومته بمختلف الطرق لما عرفت الجزائر تعليما بعد الاستقلال.

(1) تركي رابح، الشيخ عبد الحميد بن باديس ، فلسفته وجهوده في التربية والتعليم (1900-1940) ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر، د.س، ص135.

2-إشكاليات التعليم بعد الاستعمار:

-كان التعليم يجري بلغة غير لغة وطنية.

-لم يكن متاحا إلا لفئة قليلة من أبناء الوطن لا تتجاوز 10% من عدد الدارسين.

-لم تجد المدرسة الابتدائية الأماكن الكافية لإشباع حاجات أبناء الشعب المتعطش إلى العلم والمعرفة ولا المناهج الصالحة التي تخدم المجتمع الجديد ولا الوسيلة العربية.

-نقص فاحش في تعداد المتعلمين والمعلمين داخل المجتمع الجزائري وهذا ما أثر على الحركة الثقافية في الجزائر مما أدى إلى التعاون الثقافي بين الدول خاصة تزويد الجزائر بمعلمين من المشرق والمغرب.

3-إشكاليات التعليم في العصر الحديث:

-إشكالية العنف المدرسي بين التلاميذ أو بينهم وبين الأساتذة، التي أصبحت من الظواهر السلبية المتفشية في المؤسسات التربوية.

-إشكالية التسرب المدرسي عند الذكور المتفشية في جميع المؤسسات التعليمية، وذلك بسبب أن التعليم في وقتنا هذا لا يؤدي إلى نتيجة مرضية من الناحية المادية مما يستدعي ترك مقاعد الدراسة والتوجه نحو الحياة العملية.

-إشكالية الفراغ نتيجة التسيير البيروقراطي للنوادي والمراكز الثقافية، ما يجعل الملاذ الآمن للتلاميذ هو الشوارع والأحياء الشعبية والسكنية.

الفصل الأول: التعليم والتعليمية في المدارس الجزائرية

تمهيد

1/ مفهوم التعليم والمناهج التعليمية

*** مفهوم التعليم والتعليمية**

*** المناهج التعليمية المقررة في المدارس الجزائرية**

*** دور التعليمية في تطوير التعليم الجزائري**

2/ البدايات التاريخية للتعليم الجزائري على يد محمد البشير الإبراهيمي

*** المراحل التاريخية للتعليم في الجزائر**

*** نشأة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين**

*** إعادة إحياء البشير الإبراهيمي للتعليم في الجزائر**

تمهيد:

عرفت الجزائر تعليما عربيا إسلاميا إلى يومنا هذا رغم احتلالها من طرف فرنسا ومحاولة هذه الأخيرة فرنستها وتنصيرها عن طريق التعليم إلا أنها حافظت على كيانها بفضل دفاع العلماء المصلحين فيها عن الإسلام والعروبة، وعن طريق الكفاح الثقافي المتمثل في نشر التعليم والقضاء على الجهل والأمية استطاعت دفع المستعمر خارج البلاد وأخذ الحرية والاستقلال الوطني، ونتيجة لإتباع وزارة التربية والتعليم مجموعة من الإصلاحات التربوية مستغلة فيها نتائج البحوث اللسانية والنفسية والاجتماعية للوصول إلى تحقيق الأهداف التعليمية المتوقعة، وتحديث وسائل وطرق جديدة من شأنها التطوير من عملية التعليم تم خلق مدرسة جديدة بمناهجها وبرامجها وطرقها ووسائلها قريبة من المجتمع ومستجيبة لأفكاره وتصوراته، وقد سعت في ذلك إلى تحقيق أفضل النتائج في ميدان التربية والتعليم ومن ثم تكوين الفرد الصالح النافع لنفسه ووطنه، معتمدة في ذلك على المبادئ الأولى والأسس المتينة التي بني عليها هذا التعليم والتي ترجع أصولها إلى العلماء الأفذاذ أمثال الشيخ العلامة "محمد البشير الإبراهيمي" الذي استطاع بعلمه وثقافته وأفكاره النيرة إحياء التعليم الجزائري وبنائه على العروبة والإسلام بعدما كادت فرنسا أن تحوّله عن مجراه بسياساتها المتبعة.

المبحث الأول : مفهوم التعليم والمناهج التعليمية

يعد العلم الطريق الوحيد المتاح أمام المجتمعات والتي يتوجب عليها أن تسلكه للوصول إلى الحقائق ومعرفتها واكتشاف الأشياء الغامضة والمبهمة في مختلف المجالات الواسعة، والتي تنتقل معرفتها من شخص لآخر عن طريق التعليم الذي يعد منارة يهتدي بها الناس الى الطريق القويم الذي سيسلكونه في الحياة، وهو سبب الظهور والرقي والرفعة، ليس على مستوى الفرد فحسب بل على مستوى الدول أيضا، فالدولة التي تحافظ على نظامها التعليمي هي الدولة التي تتفوق في كافة المجالات وعلى كافة الأصعدة، ولكن لا يستطيع التعليم أن يحقق هذه الإنجازات بمفرده لأنه يحتاج إلى عناصر تساهم في تطوره واكتمال بنائه ليكون في المستوى المطلوب واللائق لعملية التعلم

واكتساب العلم والمعرفة، وذلك باحتوائه على المناهج التعليمية التي تمكنه من تحقيق أهدافه وغاياته باعتبارها القلب النابض للعملية التربوية وأساسها الذي ترتكز عليه في بناء التربية والتعليم ونقطة الانطلاق في إعداد الأجيال وتكوينها وتأهيلها لتكون قادرة على إحداث النقلة المطلوبة للمجتمع في كافة الميادين الثقافية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها.

المطلب الأول: مفهوم التعليم والتعليمية

أولا: مفهوم التعليم

يعد التعليم من أهم المقومات والمؤشرات الأساسية التي يقاس عليها مدى تقدم الدول وتطورها الذي يكون مرهونا بالدرجة الأولى على مخرجات العملية التعليمية سواء من أشخاص وكفاءات مكونة قادرة على النهوض بمجتمعاتها، أو من خلال المنتجات المادية للعلوم المتمثلة في الأجهزة والتكنولوجيات التي تقدم دورا فاعلا في تطوير الأنشطة والخدمات وبالتالي المساهمة في تقدم المجتمعات، كما أن التعليم مهنة مقدسة توجب على القائمين بها الإخلاص في تأديتها والتزام الصدق مع النفس والناس وتقديم الأفضل لنشر العلم والقضاء على الجهل والأمية.

ويخلط الكثيرون بين مصطلح التعليم ومصطلح التربية خاصة وأن كليهما يشار إليه بالإنجليزية بكلمة واحدة هي Education ، فيشير مفهوم التربية إلى "تعلم الفرد للحياة عن طريق نشاطه وبتوجيه المعلم له، هي تعليم الحياة وليس تعليم العلوم فقط؛ أي تعليم التلميذ الحياة أكثر من تعليميه للمادة"[1]، ويشير مفهوم التعليم إلى عملية تربوية تتم داخل وسائط التربية النظامية كالمدارس والمعاهد والجامعات وغيرها، ويصبح بذلك التعليم جزء من التربية التي يتسع مفهومها ليشمل جميع الأساليب والخبرات و الوسائط التي تؤثر في سلوك الناس.

والتعليم هو "فن مساعدة الآخرين على التعلم، وهو يثير نشاط المعلم والمتعلم لاكتساب نوع جديد من السلوك، يعمل على اكساب التلميذ ما يحتاج إليه من المعلومات والمهارات والاتجاهات والعادات، فهو إذن من أفضل المهن الانتاجية لأنه يخلق القوى البشرية الناضجة الضرورية اللازمة لبناء المجتمع وتطوره، ويقوم التعليم على

(1) بتصرف: فايز مراد دندش، في أصول التربية ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، الاسكندرية ، مصر ، ط1 ، 2004 ، ص 95.

مجموعة من المعارف والأفكار التي تستدعي تدريبا عقليا مناسبا كما يتطلب إعدادا مهنيا شاملا ولمدة طويلة يعتمد على التجارب والبحث العلمي للمعرفة المتطورة له".[1]

"والتعليم هو عملية إعادة بناء الخبرة التي يكتسب المتعلم بواسطتها المعرفة والمهارات والاتجاهات والقيم، أو هو مجموعة الأساليب التي يتم بواسطتها تنظيم عناصر البيئة المحيطة بالمتعلم لإكسابه خبرات تربوية معينة".[2]

ويعرف كذلك بأنه "عبارة عن علاقات متبادلة بين فرد أو أكثر من ناحية أو مجموعة من الأفراد من ناحية أخرى، وتكون هذه العلاقات ذات تأثير فعال تتغير على آثارها سلوك الأفراد الذين نريد تغيير سلوكهم كما يوجد اتجاهان رئيسيان لكل منهما وجهة نظر حول مفهوم التعليم، حيث يرى أصحاب الاتجاه الأول أن التعليم مهنة بكل ما تحمله من خصائص ومعايير، ويرى الاتجاه الثاني و هم الأغلبية ، أن التعليم لم يرق بعد الى مستوى المهن و لذلك يمكن أن نطلق عليه شبه مهنة أو حرفة".[3]

والتعليم سلسلة من الإجراءات و الفعاليات والنشاطات الهادفة و المنظمة لتحقيق نتاجات محددة، "يهدف إلى تنمية قدرات واستعدادات التلاميذ وإشباع ميولهم، وتزويدهم بالقدر الضروري من القيم والسلوكيات والمعارف والمهارات العلمية والفنية والمهنية التي تتفق وظروف البيئات المختلفة".[4]

ويلعب التعليم دورا أساسيا في إحداث تنمية مستقبلية لكل مجتمع، لأنه يعتمد على التنمية البشرية التي تقود إلى تنمية إجتماعية، فالتعليم هو حلم معاصر لكل دولة لأنه يمثل الوعي الجماهيري ويدل على التقدم الفكري والثقافي والهدف منه تكوين مجتمع متعلم إضافة إلى التخلص من توابع الجهل والأمية.

(1) بتصرف: حسين عبد الحميد أحمد رشوان، العلم والتعليم والمعلم من منظور علم الاجتماع ، مؤسسة شباب الجامعة للنشر ، الاسكندرية ، مصر ، د.ط ، 2006 ، ص ص 127-128.

(2) بتصرف: فايز مراد دندش، في أصول التربية ، المرجع السابق ، ص 95.

(3) بيوط وافية وآخرون، دور المتعلم في عملية التعليم والتعلم ، تعليم اللغة العربية في الطور الابتدائي نموذجا ، مذكرة لنيل شهادة الليسانس في اللغة العربية وآدابها ، كلية الآداب واللغات والعلوم الاجتماعية ، قسم اللغة والآدب العربي ، 2010-2011 ، ص 11.

(4) فايز مراد دندش، اتجاهات جديدة في المناهج وطرق التدريس ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، الاسكندرية ، مصر ، ط1 ، 2003 ، ص 177.

إذن من خلال التعليم "يتم اكتساب خبرات ومهارات واتجاهات وقيم وغيرها، تساعد الفرد على التغير وتبني اتجاهات ومواقف جديدة تساعده هذه الأخيرة على التكيف كما تجعله أحيانا يتخلى عن معتقداته الراسخة ويتبنى معتقدات جديدة يعيش بواسطتها في حالة من التحدي بين التخلي والتبني".[1]

ثانيا: مفهوم التعليمية

1- لغة:

التعليمية هي ترجمة لكلمة Didactique التي اشتقت من كلمة Didaktitos اليونانية، والتي كانت تطلق على ضرب من الشعر الذي يتناول بالشرح معارف علمية أو تقنية.[2]

وتعني Didaktikos فلنتعلم؛ أي يعلم بعضنا بعضا، ومعنى Didaskein التعليم، "والديداكتيكا هو لفظ أعجمي مركب من لفظين هما: (ديداك) و (تيكا) وتعني أسلوب التسيير في مجال التعليم، وذكر صاحب المورد (القاموس الإنجليزي- العربي) منير البعلبكي: الديداكتيك تعني فن أو علم التعليم، وهي في اللغة العربية مصدر صناعي لكلمة تعليم وهذه الأخيرة من "علم" ؛ أي وضع علامة أو أمارة لتدل على الشيء لكي ينوب عنه دون إحضاره".[3]

2- اصطلاحا:

ظهر مصطلح الديداكتيك "لأول مرة في فرنسا سنة 1554م ليدل على الوصف المنهجي لكل ما هو معروض بوضوح، وهو بخلاف معناه في المجال التربوي الذي وظف سنة 1667م كمرادف لفن التعليم، ومفهوم التعليمية أو الديداكتيك أو علم التدريس أو المنهجية في العصر الحديث هي علم موضوع دراسة طرائق وتقنيات

(1) بتصرف: سعيد حسني العزة، صعوبات التعلم، المفهوم- التشخيص- الأسباب ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، ط1 ، 2007 ، ص ص 11-12.

(2) محمد الصالح حثروبي، الدليل البيداغوجي لمرحلة التعليم الابتدائي ، دار الهدى ، عين مليلة ، الجزائر ، د.ط ، 2012 ، ص 126.

(3) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

التعليم، أو هي مجموع النشاطات والمعارف التي نلجأ إليها من أجل إعداد وتنظيم وتقييم وتحسين مواقف التعليم".[1]

والديداكتيك أيضا نهج أو أسلوب معين لتحليل الظواهر التعليمية ودراسة علمية تنظم وضعيات التعلم التي يعيشها المتربي لبلوغ هدف عقلي أو وجداني أو حركي، ودور المعلم في العملية التعليمية هو تسهيل عملية تعلم التلميذ، بتصنيف المادة التعليمية بما يلائم حاجات المتعلم وتحديد الطريقة الملائمة لتعلمه مع تحضير الأدوات المساعدة على ذلك، وتتطلب هذه العملية مصادر معرفية متنوعة كالسيكولوجيا التي تساعد على معرفة الطفل وحاجاته، والبيداغوجيا التي تمكن من اختيار الطرق الملائمة بحيث تتجلى من خلالهما نتائج التعلم على مستوى المعارف العقلية ومستوى المهارات الحسية وعلى المستوى الوجداني، ويعرف "محمد الدريج" الديداكتيك في كتابه "تحليل العملية التعليمية" : "هي الدراسة العلمية لطرق التدريس وتقنياته ولأشكال تنظم مواقف التعليم التي يخضع لها المتعلم قصد بلوغ الأهداف المنشودة سواء على المستوى العقلي المعرفي أو الانفعالي الوجداني أو الحس حركي المهاري أو اللغوي التواصلي".[2]

ويعرفها سميث Smit بأنها : "خلاصة المكونات والعلاقات بين الوضعيات التربوية وموضوعاتها ووسائطها، وبعبارة أخرى هو علم تتعلق موضوعاته بالتخطيط للوضعية البيداغوجية وكيفية تنفيذها ومراقبتها وتعديلها عند الضرورة".[3]

أما ميلاري Milary فيقول : "التعليمية هي مجموعة الطرائق والأساليب وتقنيات التعليم".[4]

و يعرفها "بروسو" : "إن التعليمية هي تنظيم تعلم الآخرين".[5]

(1) محمد الصالح حثروبي، الدليل البيداغوجي لمرحلة التعليم الابتدائي ، المرجع السابق ، ص 126.

(2) نقلا عن: نور الدين قايد، حكيمة سبيعي، التعليمية وعلاقتها بالأداء البيداغوجي والتربية ، مجلة الواحات للبحوث والدراسات ، العدد 8 ، د.د ، غرداية ، الجزائر ، 2010 ، ص 36.

(3) محمد الصالح حثروبي، الدليل البيداغوجي لمرحلة التعليم الابتدائي ، ص127.

(4) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

(5) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

إذن فالتعليمية علم يهتم بطرائق التدريس وتقنيات التعليم واهتماماتها هي المعلم والمتعلم والمعرفة، وهي مشتقة من البيداغوجيا وموضوع التدريس بصفة عامة و بالتحديد تدريس المواد والتخصصات الدراسية المختلفة في أي مرحلة من مراحل التعليم، من خلال التفكير في بنيتها ومنطقها وكيفية تدريس مفاهيمها ومشاكلها وصعوبات اكتسابها.

ويمكن أن نلخصها في مستويين هما:

أ– التعليمية العامة:

هي "التعليمية التي تكون مبادئها ومعطياتها قابلة للتطبيق مع كل المحتويات والمواد وفي كل مستويات التعليم"[1]، حيث تقدم المبادئ والأسس النظرية العامة التي يتعين مراعاتها من غير أخذ خصوصيات مادة على أخرى والتي تكون صالحة لكل الموضوعات ووسائل التعليم بمعزل عن التخصصات الدراسية الدقيقة للمواد أو المستويات التعليمية.

ب– التعليمية الخاصة:

وهي "التعليمية التي تهتم بتخطيط العملية التعليمية التعلمية لمادة معينة لتحقيق مهارات خاصة بوسائل محددة لمستوى معين من المتعلمين"[2]، وبعبارة أخرى هي التي تختص بتدريس مادة من المواد الدراسية من حيث الطرائق والوسائل والأساليب الخاصة بها، مثل: تعليمية أنشطة اللغة العربية في السنة الأولى ابتدائي أو تعليمية نشاط الرياضيات في السنة الخامسة ابتدائي.

ثالثا: أقطاب العملية التعليمية:

تبنى العملية التعليمية من خلال تكامل أطراف متعددة فيها، تتفاعل هذه الأخيرة مع بعضها البعض بشكل إيجابي بغية تحقيق أهداف التعليم المنشودة في أي مرحلة من مراحل التعليم، وأطراف العملية التعليمية هي:

(1) محمد الصالح حثروبي، الدليل البيداغوجي لمرحلة التعليم الابتدائي ، المرجع السابق ، ص 131.

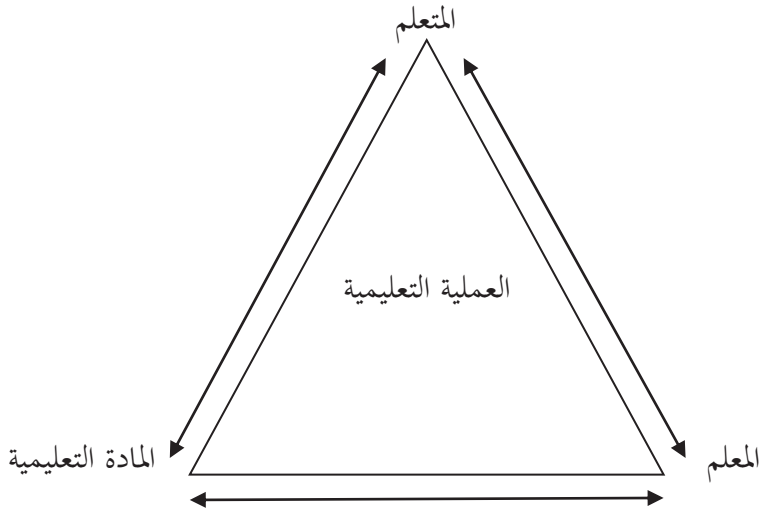
(2) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

1- المعلم وما يتصل به من إعداد أكاديمي ومهني تربوي ومستوى تأهيله، ويمثل البعد البيداغوجي.

2- المتعلم وما يتصل به من نضج واستعداد ودافعية، ويمثل البعد السيكولوجي.

3- المادة التعليمية وما يتصل بها من أهداف ومحتوى وطرائق التدريس والتقويم، وتمثل البعد المعرفي.

ونوضح ذلك بالشكل التالي:



الشكل رقم 1: أقطاب العملية التعليمية

1- المعلم:

للمعلم مكانة بارزة ودور مهم في صنع الحياة وتشكيلها ورسم مستقبلها فهو العمود الفقري للمجتمع الذي يقوم بدور المصلح الاجتماعي والقائد الوطني والأخلاقي والروحي، والحديث عنه يستلزم الإشارة إلى شخصيته وأخلاقه وتكوينه وسلوكه وقدرته على التكيف مع المواقف المستجدة وقدرته على التبليغ والتنشيط والتحفيز واستثمار علاقاته التربوية في بناء الدرس، بالإضافة إلى حبه لمهنته أو تدمره منها لأن هذه العوامل تساعد بصورة أو بأخرى في بناء وتكوين المعلم، ومكانة المعلم ليست بالشيء المحدث وإنما عرفت منذ القدم عندما جعل الله تعالى آدم أول المعلمين وجعل الرسول صلى الله عليه وسلم آخرهم، فهو "وسيلة المجتمع وأداته لبلوغه هدفه، وهو منقذ البشرية من ظلمات الجهل عابرا بهم إلى ميادين العلم والمعرفة، وهو من أهم العوامل المؤثرة في العملية التعليمية، ويمثل محورا أساسيا ومهما في منظومة التعليم لأي مرحلة تعليمية، فمستوى المؤسسات التعليمية ومدى

نجاحها وتحقيقها لأهدافها يتوقف على المعلم...وهو بحكم وظيفته مصدر للمعرفة، فهو موجه ومرشد ومورد للعلم والمعرفة"[1]، ولعل في قول أحمد شوقي:

قـــم للمعلـم وفه التبجيلا كـاد المعلم أن يكـون رسولا[2]

ما يعكس ذلك الاهتمام والتقدير للمعلم ودوره في حياة الأمة، وبالتالي لا بد أن يوضع المعلم في بؤرة اهتمام من يريد تطوير العملية التعليمية وتمكينها من تلبية حاجات الأمة والمجتمع وذلك للدور الذي يؤديه في حياة الأمة وإعداد الأجيال، وإعداد المعلم إعدادا جيدا يوفر أولى الضروريات اللازمة للعملية التعليمية.

2- المتعلم:

يعد المتعلم الركن الأول من أركان العملية التعليمية وهو المستهدف بهذه العملية، "فلا يستطيع المعلم القيام بعملية التعليم إلا في وجود المتعلم، مثله في ذلك مثل البائع الذي لا يستطيع أن يبيع إلا في وجود المشتري"[3]، وعندما نتحدث عنه فإننا نشير إلى مكتسباته وخصائصه السيكولوجية وإلى سنه وجنسه وطبيعة تكوينه واستعداداته ودوافعه وانفعالاته وقدراته الفكرية والمهارية ومستوى ذكائه، المرتبطة جميعها بمجموعة من المؤثرات البيئية والاستعدادات الوراثية والحاجات البيولوجية التي تؤثر على مستواه التعليمي سلبا أو إيجابا، وبما أن المتعلم هو المستهدف من العملية التعليمية أصبح من الضروري مراعاة كل الجوانب النفسية والمعرفية والاجتماعية المتعلقة به والإلمام بما توصلت إليه أحدث النظريات التربوية بشأن التعليم ومراعاة المبادئ التي تم التثبيت من فعاليتها في التعليم بغية تطوير العملية التعليمية باعتبار المتعلم قطبا رئيسيا فيها.

ولا بد للمتعلم أو التلميذ أن "يحترم معلمه ولا يتآمر عليه بل يلقي إليه زمام أمره ويذعن لنصيحته إذعان المريض لطبيبه، ويتواضع له ويطلب الثواب والشرف بخدمته، كما يجب عليه ألا يدع علما من العلوم المحمودة ولا نوعا من أنواعه إلا وينظر إليه نظرا يطلع به على مقصده وغايته، ثم أن يساعده العمر طلب التبحر فيه، وإلا

(1) حسين عبد الحميد أحمد رشوان، العلم والتعليم والمعلم من منظور علم الاجتماع ، مرجع سبق ذكره ، ص 181.

(2) محسن علي عطية، تدريس اللغة العربية في ضوء الكفايات الأدائية ، دار المناهج للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، ط1 ، 2007 ، ص25.

(3) حسين عبد الحميد أحمد رشوان ، المرجع السابق ، ص197.

اشتغل بالأهم منه واستوفاه وتطرف عن البقية، فإن العلوم متعاونة وبعضها مرتبط ببعض، كما يجب عليه أن يقلل من انشغالاته بالدنيا ويبتعد عن الأهل والوطن باحثا عن العلم، وعليه ألا يخوض في فن من فنون العلم دفعة واحدة بل يراعي الترتيب ويبتدئ بالأهم ولا يخوض في فن حتى يستوفي الذي قبله، لأن العلوم مرتبة ترتيبا ضروريا وبعضها طريق إلى بعض".[1]

3- المادة التعليمية:

مما لا شك فيه هو أن التعلم عملية ديناميكية قائمة أساسا على ما يقدم للطالب من معلومات ومعارف وعلى ما يقوم به الطالب نفسه من أجل اكتساب هذه المعارف وتعزيزها ثم تحسينها ومدى قابلية الطالب لهذه العملية التعليمية إذ أن تجربة الطالب هي الأساس في نجاح العملية، ومن أجل تحقيق هذا النجاح لا بد من توفر عنصر أساسي لا يقل أهمية عن المعلم والمتعلم يتمثل في المادة التعليمية والتي تسمى كذلك المحتوى التعليمي أو المادة المدرسية ذات البعد المعرفي والتي تعتبر وسيلة للتواصل بين المعلم والمتعلم.

و المادة التعليمية لها أهدافها وطرائقها ومحتوياتها، إذ لا يمكن حصول تعلم من دون محتوى، ولا يمكن اختيار محتوى من دون أهداف تعلم، ولا يمكن تنفيذ محتوى وتحقيق أهداف من دون طرائق تدريس تعتمد لتحقيق أهداف العملية التعليمية.

وإذا نظرنا إلى العملية التقليدية في تقديم المادة التعليمية نجد أن الاهتمام كان منصبا عل المعلم وكان عمل المتعلم التلقي، أما في العملية الحديثة أصبح المتعلم هو صاحب الدور الفاعل في العملية التعليمية لأنه من يبني المعرفة من خلال البحث والاستنتاج، ودور المعلم يكمن في التقويم والتوجيه والإرشاد فقط، بمعنى أن المعارف في العملية القديمة تتلقى وفي العملية الحديثة تبنى، كما تختار المناهج من المعارف الأكاديمية ما يلائم عمر المتعلم وتقيم التدرج المتنامي بين هذه المعارف وتبني الوضع التعلمي الأفضل لتحصيل المعارف المختلفة.

(1) بتصرف: حسين عبد الحميد أحمد رشوان، العلم والتعليم والمعلم من منظور علم الاجتماع ، المرجع السابق ، ص ص 198-199.

المطلب الثاني: المناهج التعليمية المقررة في المدارس الجزائرية

تعد المناهج التعليمية من أهم مكونات النظام التربوي لأي مجتمع بشري، فهي الأداة والوسيلة التي تعتمد عليها المجتمعات في تحقيق أهدافها وإثبات مكانتها داخل وخارج المؤسسات التعليمية، فالمناهج عبارة عن إطار مرجعي يتضمن محتوى المعرفة الاجتماعية والظواهر الطبيعية والبشرية والمهارات والاتجاهات والعمل والقيم والاستقصاء والتحليل بما في ذلك القدرة على حل المشكلات المختلفة كالفقر والبطالة والفساد الاجتماعي.

1- مفهوم المناهج التعليمية:

1/1 مفهوم المنهاج:

أ- لغة:

جاء في قوله تعالى : "لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا".[1]

"وتستخدم كلمة النهج أو المنهاج عند العرب بمعنى الطريق الواضح، حيث جاء في معجم الوسيط : نهج الطريق نهجا ونهوجا : وضح واستبان، وانتهج الطريق : استبناه وسلكه، والمنهاج : الطريق الواضح، والخطة المرسومة(محدثة) ومنه : منهاج الدراسة ومنهاج التعليم ونحوهما(ج) مناهج".[2]

ومنه جاء منهاج التعليم بمعنى الطريق والخطوات التي يستخدمها المعلم لتحقيق نتائج محددة.

"كما ويرجع مصطلح المنهج Curriculum في الأصل إلى اللغة اللاتينية، ويعني سباقا يتم في مضمار ما، والذي كان يقام من وقت لآخر في العصور اليونانية والرومانية، ومع مرور الزمن تحول متطلب السباق إلى مقرر دراسي تدريبي فتم إطلاق كلمة المنهج على مقررات الدراسة أو التدريب، ثم استمر الأمر بعد ذلك لتعني الكلمة

(1) سورة المائدة، الآية 48.

(2) مجمع اللغة العربية، معجم الوسيط ، مكتبة الشروق الدولية ، ط2 ، مجلد1 ، 2004 ، ص957 ، مادة : نهج.

محتوى المواد الدراسية أو الخطط الخاصة بها، ومعنى ذلك أن المنهج كلمة لاتينية الأصل تعني الطريقة التي ينهجها الفرد حتى يصل إلى هدف معين".[1]

ب- اصطلاحا:

"المنهج خطة متكاملة يتم عن طريقها تزويد الطالب بمجموعة من الفرص التعليمية التي تعمل على تحقيق أهداف مرتبطة بأهداف خاصة مفصلة يجري تحقيقها في معهد علمي معين تحت إشراف هيئة مسئولة".[2]

والمنهاج حسب "محمد الصالح حثروبي" هو "وثيقة بيداغوجية رسمية تصدر عن وزارة التربية الوطنية لتحديد الإطار الإجباري لتعليم مادة دراسية ما، ويفترض أن يشتمل على الأهداف والكفاءات بجميع مستوياتها، المحتويات الوضعيات والمواقف والأنشطة التعليمية والأنشطة اللاصفية، الطرائق والوسائل وأدوات التقويم وأساليبه".[3]

ويدل المنهاج على "كل التجارب التعلمية المنظمة وكافة التأثيرات التي يمكن أن يتعرض لها التلميذ تحت مسؤولية المدرسة خلال فترة تكوينه، ويشمل هذا المفهوم نشاطات التعلم التي يشارك فيها التلميذ والطرائق والوسائل المستعملة وكذا كيفيات التقويم المعتمدة".[4]

إذن فالمناهج التعليمية تتمثل في مجموع الخبرات التي تهيأ للمتعلم وتستهدف مساعدته إلى النمو الشامل المتكامل لكي يكون أكثر قدرة على التكيف مع ذاته ومع الآخرين، على اعتبار أن المنهاج هو أهم أداة يضعها المجتمع لتربية الأجيال وفق الصورة النموذجية التي يرغب أن يكون عليها الجيل الناشئ.

وهي كذلك التعليم والتربية المبرمجة حسب أهداف محددة نابعة من فلسفة المجتمع واتجاهاته المستقبلية مبنية على أسس نفسية ومعرفية واجتماعية وثقافية، هادفة إلى التطور المتكامل لشخصية المتعلمين وجميع جوانبهم العلمية

(1) أحمد المهدي عبد الحليم وآخرون، المنهج المدرسي المعاصر، تحر: رشدي أحمد طعيمة ، دار الميسرة ، عمان ، الأردن ، ط1 ، 2008 ، ص15.
(2) فايز مراد دندش، اتجاهات جديدة في المناهج وطرق التدريس ، مرجع سبق ذكره ، ص 15.
(3) محمد الصالح حثروبي، الدليل البيداغوجي لمرحلة التعليم الابتدائي ، مرجع سبق ذكره ، ص26.
(4) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

والاجتماعية والثقافية والفنية، وتقاس قيمة ما تقدمه المناهج التعليمية للدارسين من مهارات وخبرات وأساليب سلوكية على مدى الاستفادة منها قي المواقف الحياتية المختلفة وعلى مدى استجابتها لمتطلبات خطط التنمية وأثرها في تطور المجتمع سواء على المدى القريب أو المدى البعيد.

1-2/ أسس بناء المناهج:

تقوم المناهج التعليمية على مجموعة من الأسس تحدد هذه الأخيرة جوانب المنهاج في أهدافه ومضامينه وتنفيذه، ويرجع إليها خبراء المناهج عند عمليات تخطيط المنهاج وتصميمه أو بنائه، وتتمثل هذه الأسس في:

1-2-1/الأسس الاجتماعية: "تتمثل في مراعاة مشكلات المجتمع وتطلعاته ومعرفة طبيعة المجتمع الذي ينشئ المدارس ويديرها حتى يتمكن المتعلمون من إدراك وممارسة مبادئ المجتمع وعاداته، وبالتالي ضمان الاستمرارية والتواصل"[1]، بالإضافة إلى "معرفة طبيعة إنتاجه الاقتصادي وتراثه الثقافي وتغيراته الحضارية، إلى جانب الاطلاع على التقدم العلمي والصناعي فيه".[2]

1-2-2/الأسس الثقافية: تلعب الثقافة المحلية للمجتمع دورا كبيرا في بناء أي منهاج تعليمي لاحتوائها على كم هائل من المعارف والخبرات المقبولة أو المرفوضة سواء كانت متخصصة أو عامة.

1-2-3/الأسس الفلسفية: "يرتكز كل منهاج على فلسفة تربوية واضحة ومحددة تعكس في المقام الأول فلسفة المجتمع في الحياة"[3]، ومَثله وأهداف التربية فيه بكل مستوياتها وتصوراتها لدور الإنسان في ذلك المجتمع.

1-2-4/الأسس النفسية: وتتمثل في مراعاة الخصائص النفسية وخصائص النمو في كل مرحلة من مراحل حياة المتعلم والمشكلات المتعلقة بهذه المراحل ومعرفة حاجات المتعلم وطرق تعلمه وميوله واستعداداته في مختلف مراحل نموه ، وذلك عند تخطيط أ بناء أو تنفيذ أي منهاج تعليمي.

(1) محمد الصالح حثروبي، الدليل البيداغوجي لمرحلة التعليم الابتدائي ، المرجع السابق ، ص28.

(2) رزق فايز بطاينة، المناهج التربوية ، جدارا للكتاب العالمي ، عالم الكتب الحديث ، الأردن ، ط1 ، 2006 ، ص59.

(3) محمد الصالح حثروبي ، المرجع السابق ، ص28.

1-2-5/الأسس المعرفية: "ويقصد بذلك طبيعة المعرفة المختارة التي يجب أن يحتويها المنهاج لتقدم للمتعلمين لتحقيق الكفاءات والقدرات المرغوب فيها في شخصية المتعلم".[1]

1-3/ مبررات تطوير المناهج التعليمية:

تطوير المناهج التعليمية تعني "تحديث هذه المناهج وفقا للتغيرات الاجتماعية والنفسية والاقتصادية التي يمر بها المجتمع وهذا يتطلب دراسة المناهج وتحليلها وإعادة بنائها بشكل مستمر،كما أن تطوير المناهج يجب أن يستجيب للتغيرات الاجتماعية التي تعد من أبرز مبررات التطوير والتغيير للمنهاج".[2]

وقد تبنت الجزائر منذ الاستقلال إلى يومنا هذا ثلاث مناهج تعليمية هي: المناهج التقليدية ثم منهج المقاربة بالأهداف ثم منهج المقاربة بالكفاءات، ولهذا التحول والتطوير مبررات تربوية تعليمية متمثلة في سوء وقصور المناهج، فعندما تجتمع كل الآراء والتقارير على سوء المناهج فإن عملية تطوير هذه المناهج يصبح أمرا ضروريا لا رجوع فيه، ويمكن الحكم على سوء وقصور المناهج التعليمية من خلال:[3]

- نتائج الامتحانات المختلفة التي يؤديها التلاميذ: وهي تعبر عن مؤشر هام يدل على نوعية وصلاحية المناهج المتبعة وكلما ساءت النتائج كلما استدعى ذلك تطوير هذه المناهج.

- تقارير الموجهين والخبراء والفنيين: فإذا أجمعت غالبية التقارير التي يعدها الموجهون على سوء جوانب مختلفة نتيجة للزيارات الميدانية التي يقومون بها في المدارس، وخاصة إذا تمت صياغة هذه التقارير بموضوعية تامة فإن ذلك يستدعي عملية التطوير، وذلك لأن هذه التقارير تتعرض في معظم الأحيان لتوعية المدرس وإعداده ونشاطه وطرق تدريسه وكذلك للمقررات الدراسية وما بها من ضعف وغموض وتغيرات وكذلك للمستوى العام للتلاميذ.

- نتائج البحوث: في حالة إجراء البحوث المختلفة على جوانب المنهج المقررة فإن نتائج تلك البحوث وخاصة إذا أظهرت هذه النتائج قصورا جوهريا في المنهج فإنها تؤدي إلى ضرورة تطوير هذا المنهج ويجب في هذه الحالة أن

(1) محمد الصالح حثروبي، الدليل البيداغوجي لمرحلة التعليم الابتدائي ، المرجع السابق ، ص29.

(2) رزق فايز بطاينة، المناهج التربوية ، المرجع السابق ، ص136.

(3) المرجع نفسه، ص 142.

تكون هذه البحوث مبنية على أساس علمي، متنوعة، مختارة وفقا لخطة عامة ومدروسة ومتفق عليها من قبل المسئولين.

كما يمكن إجمال دواعي تطوير المناهج التعليمية في النقاط التالية:[1]

- عدم مواكبة المناهج للتطورات المعاصرة ولحاجة المجتمع من القوى العاملة.

- قصور المناهج في إكساب الطلاب الثقافة العلمية التي تعد من أساسيات الحياة المعاصرة.

- هبوط مستويات خريجي الجامعات في المجتمع بشكل عام.

- التأثيرات التي أحدثتها العولمة في المجتمعات والتي تفرض على المؤسسات التعليمية القيام بتغييرات في الممارسات التعليمية وفي إعداد المتعلمين للحياة المعاصرة.

2- المناهج التعليمية المتبعة في المنظومة التربوية الجزائرية:

2-1/ المناهج التقليدية (النموذج التلقائي "المعارف"):

بعد الفراغ الرهيب الذي تركه المستعمر في الجزائر نتيجة لتجهيل الشعب وإبادته وتشريده في الجبال، ووقف التطور الطبيعي للغة وفرض اللغة الفرنسية والثقافة الفرنسية كأساس للتعليم في المدارس، كان من اللازم نتيجة لهذه السياسة القمعية التي اتبعها المستعمر بغية طمس الهوية الوطنية الجزائرية أن تتبنى المنظومة التربوية في الجزائر سياسة تعليمية تتماشى مع الديانة الإسلامية وثقافة المجتمع وتقاليده الاجتماعية وتعكس خصوصيات الشخصية الجزائرية، وقد راعت في ذلك نشر التعليم في المدن والقرى الجزائرية وجعله في متناول الجميع صغارا وكبارا، مواكبا لتطورات العصر ومنفتحا نحو العصرية والتحديث والتكنولوجيا،"ساعيا إلى العمل على التعريب والجزأرة وديمقراطية التعليم والتكوين العلمي والتكنولوجي".[2]

(1) بتصرف: محمد السيد علي، اتجاهات وتطبيقات حديثة في المناهج وطرق التدريس ، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة ، عمان ، الأردن ، ط1 ، 2011 ، ص 30.

(2) حفيظة تازورتي، اكتساب اللغة العربية عند الطفل الجزائري ، دار القصبة للنشر ، الجزائر ، د.ط ، 2003 ، ص90.

وطريقة التدريس المتبعة في المناهج التقليدية تقوم على الإلقاء أو الإخبار؛ أي الطريقة الإلقائية أو الإخبارية، وتسمى كذلك النموذج التلقائي(المعارف) "ويطلق الإلقاء عادة على نوع الدروس التي تغلب عليها الطريقة المذكورة، وبمفهوم مغاير هي الطريقة التي يكون فيها صوت المدرس هو المسموع أكثر من غيره عندما يلقي الحقائق أو يسردها، فالمدرس في هذه الطريقة لا يمكنه أن يستغني عن لسانه فهو أول الوسائل التي يمكن لها توضيح ما غمض وهو الطريق السهل للاتصال الشخصي للتلاميذ، وفي هذه الطريقة يقوم المدرس بدور الممثل والتلميذ بدور المشاهد، فالمعلم وحده يعرض، يتكلم ويشرح، بينما التلميذ يشاهد ويستمع فقط دون مقاطعة معلمه".[1]

وهكذا يتبين لنا أن المدرس يعتمد على نفسه اعتمادا كليا في إلقاء الدروس دون أن يسمح لأحد مشاركته فيها، فالتلاميذ ينصتون إليه باهتمام دون أن يبدوا أي حركة أو تدخل وقد يطلب منهم أحيانا كتابة ما يسمعون.

وأهم ما ميز التعليم في هذه المرحلة هو سن قوانين جديدة تتماشى مع واقع الجزائر المستقلة الحرة أهمها: ديمقراطية التعليم، الجزأرة، توحيد التعليم والتعريب.

1/ ديمقراطية التعليم: يعني حق كل جزائري في التعليم.

2/ الجزأرة: تتمثل في إلغاء التشريع الأجنبي وجزأرة الوسائل التعليمية منها الكتاب المدرسي.

3/ توحيد التعليم: من خلال توحيد البرامج بين المدارس الابتدائية ومدارس التعليم العام من جهة والمدارس التي كانت تابعة لجمعية العلماء المسلمين من جهة أخرى، بالإضافة إلى توحيد الامتحانات والمسابقات في كافة الأطوار التعليمية.

4/ التعريب: إعادة الاعتبار للغة العربية وجعلها اللغة الرسمية في كافة المراحل التعليمية والوصول بالمتعلم إلى اكتساب المهارة في استخدامها.

والشيء الملاحظ على هذه الطريقة التي اعتمدت عليها المناهج التقليدية أنها تعتمد في تدريس كبار التلاميذ وتستعمل في الكليات والمعاهد العليا...، غير أنها حققت نتائج حسنة في ميدان التعليم حيث وصل تعريب

(1) أحمد مختار عضاضة، التربية العملية التطبيقية ، مؤسسة الشرق الأوسط ، بيروت ، لبنان ، ط3 ، 1962 ، ص144.

التعليم منتصف الطريق وهي نتيجة لا بأس بها بالنظر إلى حداثة عهد الاستقلال، كما ارتفعت عدد الساعات التي تدرس باللغة العربية في جميع المواد القومية واشتملت خطة الدراسة عل بعض المواد الأساسية اللازمة لتكوين الفرد تكوينا عقليا واجتماعيا ووجدانيا مثل: الحساب والرسم والجغرافيا والأعمال التطبيقية.

2-2/ المقاربة بالأهداف (النموذج السلوكي):

تبنت المنظومة التربوية في الجزائر عند انتقالها إلى مرحلة التعليم الأساسي منهجا جديدا في التعليم هو منهج المقاربة بالأهداف أو ما يسمى بالنموذج السلوكي، والهدف لغة هو:

"جاء في لسان العرب لابن منظور يعني المرمى، وفي القاموس المحيط نجد الغرض هو الهدف الذي يرمى، وفي منجد اللغة والآداب والعلوم نجد الغرض هو الغاية والبغية والحاجة والقصد".[1]

أما اصطلاحا: "الهدف التربوي هو تخطيط للنوايا البيداغوجية، يتم من خلال وصف دقيق للسلوكيات والانجازات المراد ملاحظتها في فكر أو سلوك المتعلم عندما ينهي عملية التعلم"[2]، "والهدف التربوي هو أي تغير يراد إحداثه في سلوك المتعلمين نتيجة عملية التعليم، ويتم هذا من خلال أهداف تربوية تصاغ في شكل عبارات تكتب للتلاميذ لتصف بدقة السلوك المرتجى منهم بعد الانتهاء من وحدة دراسية معينة، أو من برنامج محدد".[3]

إذن تستند بيداغوجية الأهداف إلى مبدأ رئيسي مفاده أن كل عملية تعليمية ينبغي أن تنطلق من أهداف محددة يتم تحقيقها، فعندما يخطط المدرس عمله فإنه مطالب باتخاذ قرارات متعددة وإجراءات مختلفة، فهو الذي يختار محتوى المادة ويوظف الطرق والأساليب المعينة ويحكم على مردودية التلاميذ، ولكي تكون هذه القرارات والإجراءات مبنية على أسس متينة ودقيقة فإنه من الواجب الانطلاق من أهداف محددة لها مستويات محددة.

وتنقسم مستويات الأهداف إلى قسمين متفق عليهما من طرف المربون هما: المستوى العام والمستوى الخاص.

(1) محمد الصالح حثروبي، نموذج التدريس الهادف ، أسسه وتطبيقاته ، دار الهدى، عين مليلة ، الجزائر ، د.ط ، د.س ، ص 18.

(2) المعهد الوطني لتكوين مستخدمي التربية وتحسين مستواهم، النظام التربوي والمناهج التعليمية ، شارع أولاد سيدي الشيخ ، الحراش ، الجزائر ، 2004 ، ص 142.

(3) أمحمد تيغزى وآخرون، قراءات في الأهداف التربوية ، د.د ، باتنة ، الجزائر ، ط1 ، 1994 ، ص 131.

1- المستوى العام: ويشمل الغايات والمرامي والأهداف العامة.

1-1/ الغايات: هي صيغة يطبعها التجريد والعمومية، تعبر عن المقاصد العامة والبعيدة المدى ومن خصائصها أنها تعكس سياسة المجتمع وتشتق من مختلف المواثيق الرسمية كما يتطلب تحقيقها مدة من الزمن، مثال: "تساهم في بناء مجتمع ديمقراطي، تساهم التربية في تكوين الفرد الصالح"[1]، وتجيبنا الغايات على السؤال: أي نوع من الإنسان نريد تكوينه؟.

1-2/ المرامي: "يراد بها الأغراض أو المقاصد وهي أقل من الغايات ويمكن أن نمثل لذلك بتثبيت العقيدة الإسلامية في المتعلم، أو إتاحة الفرصة للمتعلم قصد استيعاب الظواهر العلمية"[2] كما تميل نسبيا إلى تحديد برامج التعليم وتحديد أهدافها في كل مرحلة تعليمية معينة إضافة إلى تحديد أنواع الشعب والتخصصات، وتجيبنا المرامي على السؤال: ماذا نريد؟.

1-3/ الأهداف العامة: "تعبر الأهداف العامة عن النتيجة الفعلية التي تحصل لدى التلميذ أو المتعلم في نهاية مقرر أو جزء من البرنامج"[3]، مثل: إثراء الرصيد اللغوي للتلميذ ومعرفة الأحداث التاريخية الكبرى المتعلقة بالشعوب والأمم مع الإلمام بالتاريخ الوطني، وتجيبنا الأهداف العامة على السؤال: ما الذي نستطيع فعله؟.

2- المستوى الخاص: ويشمل الأهداف الخاصة والأهداف الإجرائية.

2-1/ الأهداف الخاصة: "هي المستوى الذي يهم المدرس لكونه هو الذي يحدد أهدافه الخاصة من الدروس التي ينجزها مع متعلميه، إذن الهدف الخاص محدد بمحتوى معين، محور، موضوع".[4]

2-2/ الأهداف الإجرائية: "هي المهارة والأداء المتوقع من قيام المتعلم به بعد الانتهاء من تدريس مادة تعليمية معينة أو جزء منها، لذلك تستلزم استخدام كلمات أو أفعال تشير إلى الأداء أو العمل مثل قدرته على القراءة أو

(1) المعهد الوطني لتكوين مستخدمي التربية وتحسين مستواهم ، النظام التربوي والمناهج التعليمية ، المرجع السابق ، ص 145.
(2) صالح بلعيد، دروس في اللسانيات التطبيقية ، دار هومة ، الجزائر ، ط7 ، 2012 ، ص 100.
(3) عزيزي عبد السلام، مفاهيم تربوية بمنظور سيكولوجي حديث ، دار ريحانة للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ط1 ، 2003 ، ص 115.
(4) المعهد الوطني لتكوين مستخدمي التربية وتحسين مستواهم، المرجع السابق ، ص 146.

الوصف أو التركيب"[1]، أي هي كل سلوك يقوم به المتعلم لكي يبرهن من خلاله على التغيير الذي حدث فيه نتيجة تعلم معين.

ومن أهم شروط صياغة الأهداف الإجرائية أو السلوكية هي: [2]

-أن تكون هذه الأهداف واضحة ودقيقة.

-أن تبتعد عن التناقض في الصياغة.

-أن تكون قابلة للتحقيق والملاحظة والقياس.

-أن تتضمن النتائج التي سيحصل عليها المتعلم؛ أي الإنجازات السلوكية والمهارات التي ستعتبر دليلا على حصول الهدف.

-أن تتضمن الصياغة وصفا للظروف والشروط التي يتوقع أن تحيط وترافق النتائج والإنجازات.

2-3/ المقاربة بالكفاءات (النموذج البنائي):

ظل الحقل التربوي في الجزائر ولفترة طويلة خاضعا لنمط التدريس بالأهداف تلك الطريقة التي تركز بشكل أساسي على الكم والتراكم المعرفي، وقد عرف هذا المنهج بعض الانتقادات من حيث أنه يهيمن على الأنشطة التعليمية الأخرى، ويركز فقط على الأهداف المعرفية كما أنه يركز على الطريقة أكثر من المحتوى، والتعليم المعتمد على هذه البيداغوجية لا يأخذ بعين الاعتبار المتعلم وحاجياته ويعمل على تهميش كفاءات المدرس ويحد من حريته ومبادراته.

ونظرا إلى احتجاج التلاميذ وشكاوي الأولياء وتذمر الأساتذة وإلى واقع مؤسساتنا التعليمية، فنجد 35 تلميذا فما فوق في القسم الواحد يحول دون فرصة تنمية كفاءاتهم بصفة متعادلة، فلا يتمكن التلميذ من اختيار ما يتلقاه من معارف، إضافة الى افتقار جل المؤسسات التربوية الى أدنى الإمكانات المادية التي تمكن المعلم من أولى

(1) بتصرف: أمحمد تيغزى وآخرون، قراءات في الأهداف التربوية ، المرجع السابق ، ص 67.
(2) المرجع نفسه ، ص ص 67-68.

الكفاءات التي يتزود بها حتى يتمكن من تنظيم وتسيير وتنشيط وضعيات التعلم في قسمه ويعطي مهمته مسؤولية ودلالة فيمنح التلميذ تكوينا نوعيا ممتازا، ومنه كان لزاما على المنظومة التربوية أن تتبنى بيداغوجية التدريس بالكفاءات في المناهج التربوية الجزائرية التي "تعد في الواقع إثراء وامتداد للمقاربة بالأهداف وتمحيص لإطارها المنهجي والعلمي".[1]

تعريف الكفاءة:

تعرف الكفاءة على أنها "القدرة على تطبيق مجموعة منظمة من المعارف والمهارات والمواقف التي تمكن من تنفيد عدد من الأعمال، إنها القدرة على التصرف المبني على تجنيد واستعمال مجموعة من الموارد استعمالا ناجعا، ويتضح من هذا أن المعارف (محتويات المناهج) لم تهمل، لكنها لا تشكل غاية في حد ذاتها، أنها تتدخل خاصة بصفتها النفعية، أو كأداة لكونها من مركبات الكفاءة".[2]

وتحديد الكفاءة لا بد أن يشتمل جملة من الوضعيات تمكن من معالجة المعارف والمفاهيم بشكل بنائي أهمها:[3]

1- الانطلاق من وضعيات إشكالية يمكن حلها بأساليب مختلفة بحيث تستدعي مهارات فكرية ومعارف تمكن المتعلم من إظهار كفاءاته.

2- التركيز على التصور البنائي للتعلم، واعتبار المتعلم محورا أساسيا للعملية التعليمية التعلمية، وإعطاء أهمية خاصة لنشاطاته وقدراته الذاتية.

3- اعتبار المعلم وسيط بين المعرفة والمتعلم، يعمل على تسهيل عملية التعلم ويحفز على بذل الجهد والابتكار، يختار الوضعيات ويحث المتعلم على التفاعل معها ويتابع سيرورة التعلم ويقوّمها.

(1) محمد الصالح حثروبي، الدليل البيداغوجي لمرحلة التعليم الابتدائي ، مرجع سبق ذكره ، ص 32.
(2) المرجع نفسه ، ص35.
(3) المرجع نفسه، ص 33.

إذن تترجم المقاربة بالكفاءات أهمية العناية بمنطق التعلم المركز على المتعلم وأفعاله وردود أفعاله إزاء الوضعيات المشكلة، في مقابل منطق التعليم المركز على المعارف التي ينبغي إكسابها للمتعلمين، فيتدرب المتعلم وفق المقاربة بالكفاءات على التصرف (البحث عن المعلومة، تنظيم وضعيات وتحليلها...) وفق الوضعيات المشكلة المختارة من الحياة اليومية التي يمكن أن تحدث له، وهذه الوضعيات المكونة للوضعيات التعليمية التعلمية هي وسيلة لبناء أو تعزيز وتثبيت الكفاءات المستهدفة .

ومن مميزات البرنامج المعتمد على المقاربة بالكفاءات:[1]

1- صلاحيته للمراحل الدراسية المختلفة والمواد المختلفة ولا يقتصر على مادة من دون أخرى أو مرحلة معينة.

2- جهد المدرس بموجب هذا البرنامج لا يذهب في أدوار أو أداءات غير محسوبة إنما يسير وفق مسار محدد مسبقا، لذا فإنه يوفر الوقت والجهد المبذول في التدريس.

3- التعلم بموجبه أكثر فاعلية لما يوفره من تدعيم مباشر لاستجابة المتعلم عند إنجازه فعلا معينا.

4- يشدد على استخدام الوسائل والتقنيات المستخدمة في التدريس.

5- يهتم بالعمل الميداني مما يؤدي إلى اكتساب الكفايات الأدائية في المواقف التعليمية المختلفة.

المطلب الثالث : دور التعليمية في تطوير التعليم الجزائري

تطور التعليم الجزائري منذ الاستقلال وعرف تنوعا كبيرا في مضامينه، سواء ما تعلق بالوسائل التعليمية التي يعتمد عليها في التدريس أو ما تعلق بالمناهج المتبعة في المنظومة التربوية التي تعد المرتكز الأساسي في بناء التربية والتعليم والمنهل الخصب الذي يزود المتعلمين بالمعارف والمعلومات القادرة على غرس الاتجاهات الصحيحة والقيم الإيجابية في أنفسهم، ونحن نعلم أن حالة التعليم في عهد الاستعمار وبعده بفترة وجيزة لم تكن جيدة لقلة الخبرات ونقص الوسائل التعليمية وضعف المناهج التربوية، غير أنها استجمعت قواها بفضل ما عرفته من اصلاحات في جميع الميادين التربوية، فعملت على تطبيق التعليمية بوسائلها ومناهجها وأهدافها وغاياتها والاهتمام بأقطابها

(1) محسن علي عطية، تدريس اللغة العربية في ضوء الكفايات الأدائية ، مرجع سبق ذكره ، ص ص 62-63.

واستثمرتها في منظومتها التعليمية من خلال تحديث المناهج وعصرنة الوسائل وأساليب العمل بما يستجيب للتحولات العميقة والتغيرات المتلاحقة والحاجات المتجددة، وبما يتماشى مع طبيعة المجتمع والتطورات الحاصلة فيه، وقد انطلقت الاصلاحات التربوية الجزائرية مع بداية السنة الدراسية 2003-2004م من خلال توفير الشروط والضوابط الضرورية لتمكين كل الفاعلين التربويين من اكتساب أقصى ما يمكن من المهارات البيداغوجية كالتحكم في تخطيط دفعات المتمدرسين والتكوين المتواصل لأفواج المعلمين وإدخال تكنولوجيات الإعلام والاتصال الحديثة وإعادة الهيكلة الشاملة للطرائق البيداغوجية والبرامج التعليمية، بغرض التحسن النوعي للتعليمات والتعميم التدريجي لعملية تقويمية شاملة لعناصر المناهج ومستلزماتها، وكان من نتائجها:

- الشكل الجديد للكتب التدريسية، مثل استعمال الألوان والصور والأشكال وهو ما يحبب التلاميذ في الدراسة.
- مناسبة البرامج التعليمة المقررة من طرف المنظومة التربوية لنمو التلاميذ العقلي و الفكري.
- التدريس عن طريق المقاربة بالكفاءات المتبني بعد المقاربة بالأهداف يهتم بالمتعلم ويجعله في مركز التعليم.
- التوجه نحو أنشطة ذات دلالة بالنسبة للتلاميذ.
- الاهتمام بوضعيات إدماجيه تحفيزية حيث يتم الانطلاق فيها من وضعيات حقيقية أو شبه حقيقية يدمج خلالها المتعلم مكتسباته القديمة وتسمح له بالنشاط داخل القسم بحيث يطبقها في شكل سلوكات ظاهرة.

وهذه المنهجية تساهم في إعداد الفرد للحياة والمساهمة في بناء المجتمع وذلك من خلال الأنشطة التي يقوم بها ميدانيا، كما تضمن "التفتح الكامل والمنسجم والمتوازن لشخصية التلاميذ بتمكينهم من اكتساب مستوى ثقافي عام وكذا معارف نظرية وتطبيقية كافة، قصد الاندماج في مجتمع المعرفة".[1]

بالإضافة إلى بعض الأمور التي تم إنجازها في فترة الاصلاحات ونتيجة لاستثمار التعليمية في المنظومة التربوية تم: [2]

(1) محمد الصالح حثروبي، الدليل البيداغوجي لمرحلة التعليم الابتدائي ، مرجع سبق ذكره ، ص 17.

(2) عبد القادر فضيل، المدرسة في الجزائر: حقائق وإشكالات ، تق: عبد الحميد مهري ، جسور للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ط2 ، 2013 ، ص ص 35-36.

– وضع مناهج تربوية لكل المراحل.

– تأليف الكتب وتصميم الوسائل التعليمية، فقد شهدت السنوات الأولى من تلك الفترة حركة نشيطة في ميدان تأليف الكتب واستمرت إلى أن غطت الاحتياجات كلها.

– بذل جهود مماثلة في مستوى التعليم العالي بهدف تكوين الإطارات التي يحتاجها الميدان، لأن الجامعة والمعاهد العليا التي كانت حكرا على نخبة أصبحت بعد الاستقلال مفتوحة لكل الجزائريين، وقد وضعت في البداية تسهيلات إدارية مكنت الكثير من الراغبين في تحصيل العلم ومواصلة التعلم أن ينتسبوا إليها وينهلوا من مواردها ويصبحوا بعد ذلك من جملة إطاراتها.

فكان للتعليمية بعد تبنيها في المنظومة التربوية الجزائرية دورا كبيرا في تطوير التعليم الجزائري والوصول به إلى آفاق جديدة لم يكن يعرفها في بداياته الأولى بعد الاستقلال ساهمت في: [1]

– اكتساب التلاميذ معارف في مختلف مجالات المواد التعليمية وتحكمهم في أدوات المعرفة الفكرية والمنهجية بما يسهل عمليات التعلم والتحضير للحياة العملية، وتزويدهم بكفاءات ملائمة ومتينة ودائمة يمكن توظيفها بتبصر في وضعيات تواصل حقيقية وحل المشاكل بما يتيح للتلاميذ التعلم مدى الحياة والمساهمة فعليا في الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية وكذا التكيف مع المتغيرات.

– إثراء الثقافة العامة للتلاميذ وكان ذلك بتعميق عمليات التعلم ذات الطابع العلمي والأدبي والفني وتكييفها باستمرار مع التطورات الاجتماعية والثقافية والتكنولوجية والمهنية.

– إدماج تكنولوجيات الإعلام والاتصال الحديثة في محيط التلاميذ وفي أهداف التعليم وطرائقه.

ولكن من جهة أخرى وبغض النظر عن الإيجابيات التي حققها الإصلاح في ميادين التربية والتعليم في الجزائر والتطور الذي حصل في التعليم نتيجة لتبني المنظومة التربوية للتعليمية، إلا أنه لا يمكننا أن ننكر ذلك النقص الموجود في إطارات التعليم والخلل في هياكل المنظومة التربوية نتيجة لتواصل"عمليات التصحيح والإصلاح بأسلوب

(1) بتصرف: محمد الصالح حثروبي، الدليل البيداغوجي لمرحلة التعليم الابتدائي ، ص 17-18.

يفتقر إلى الدقة في التخطيط والوضوح في الرؤية مما أبقى الاتجاه غامضا والغاية غير واضحة"[1]، فكان من سلبيات الإصلاح:

- الاهتمام أكثر بوضعيات براغماتية نفعية.

- التوجه نحو احترافية فعل التعليم والتعلم.

- عدم كفاية التكوين السابق للمعلمين نظرا لتغير حال التعليم الذي كان سابقا تعليما بمعنى الكلمة يخرج الطلبة من المدارس والجامعات حاملين لمختلف العلوم والمعرفة التي تمكنهم من تعليم الأجيال القادمة، أما حديثا فقد أصبحت الوزارة تلجأ إلى القيام بدورات تكوينية لفترات محددة ليتمكن المعلمون من التحكم في عملية التعليم بتزويدهم بالقدر الضروري من المعارف والعلوم.

- عدم توفر الإمكانيات لتحقيق هذه الإصلاحات مثل الوسائل كالأجهزة وعدم توفر الوسائل الميدانية والخرجات العلمية، فالإمكانيات التي تحتوي عليها العديد من المؤسسات لا تستطيع توفير الجانب المادي.

(1) عبد القادر فضيل، المدرسة في الجزائر ، المرجع السابق ، ص 35.

المبحث الثاني: البدايات التاريخية للتعليم الجزائري على يد محمد البشير الإبراهيمي

نتيجة لسياسات فرنسا الاستعمارية في القضاء على الهوية الوطنية واللغة العربية والدين الإسلامي في المجتمع الجزائري عن طريق الفرنسة والإدماج وإحلال اللغة والثقافة الفرنسية محل اللغة العربية والثقافة الإسلامية في المدارس الجزائرية، كان لزوما على الشعب أن يتصدى لهذه الإجراءات التي كادت أن تقضي على التعليم الجزائري الذي كان يدرس بلغة القرآن في مختلف المراكز التعليمية كالنوادي والزوايا والمساجد والكتاتيب وغيرها من أماكن التعليم، ونتيجة لانتشار الوعي بين الجزائريين وزيادة طلبهم على نشر التعليم باعتباره سلاحا يساعدهم على نيل الحرية ويمكنهم من تحقيق التقدم والتصدي لمحاولات المستعمر للقضاء على إيديولوجية التعليم الجزائري، تأسست جمعية العلماء المسلمين التي أعادت للتعليم الجزائري هيبته التي كان يعهدها قبل مجيء الاستعمار، فباشرت فورا بإحياء اللغة العربية والدفاع عن الإسلام والعمل على تحرير الوطن عن طريق بناء المدارس الحرة من أجل استرجاع الثقافة الجزائرية وإعادة المكانة للغة العربية، وهو ما جعل التعليم ينتشر في ربوع الوطن الجزائري بمدنه وأريافه، وفضل ذلك يرجع إلى زعمائها وقادتها الذين لم يبخلوا على شعبهم ولو بفكرة من أفكارهم النيرة.

المطلب الأول: المراحل التاريخية للتعليم في الجزائر

لا يمكن أن نقول بأن التعليم في الجزائر لم يكن موجودا إلا بعد خروج المستعمر الفرنسي من البلاد بل كان منتشرا انتشارا واسعا بين أبناء الشعب الجزائري، وبمجرد دخول الاستعمار عرف تدهورا كبيرا لمحاولة فرنسا القضاء عليه بكل الوسائل الممكنة، ولكن بعد استرجاع السيادة الوطنية قامت الجزائر بمجهودات جبارة استعادت من خلالها مكانة التعليم الجزائري وجعلته منتشرا في كامل أرجاء الوطن، ومنه فالمراحل التاريخية للتعليم في الجزائر تنقسم إلى ثلاث مراحل هي:

1- التعليم في الجزائر قبل الاحتلال:

التعليم الذي كان منتشرا في الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي عام 1830م هو التعليم العربي الإسلامي الذي يقوم أساسا على الدراسات الدينية والأدبية والقليل من الدراسات العلمية، ومعاهده هي الكتاتيب القرآنية والمساجد والزوايا، وقد كانت منتشرة في الجزائر انتشارا كبيرا.

ويذكر المؤرخون الذين كتبوا عن التعليم في الجزائر قبل الاحتلال أنه كان منتشرا انتشارا كبيرا في البلاد، وأن عددا ضخما من المعاهد العلمية المختلفة كان قائما في سائر جهات القطر، وأن الجزائر كانت تتوفر على عدد هام من رجال العلم والأدب والفقهاء الذين تجاوزت شهرة بعضهم حدود الجزائر إلى غيرها من الأقطار العربية الإسلامية، يقول المؤرخ الفرنسي "**موريس بولارد**" Maurice paulard في كتابه "تعليم الأهالي في الجزائر": "كان في الجزائر في القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين مراكز ثقافية باهرة، وكان فيها أساتذة متمكنون في علوم الفلسفة والفقه والأدب والنحو والطب والفلك، وكانت المدارس الكثيرة العدد منتشرة قي ربوع البلاد والتعليم ديني ومدني".[1]

وقد كانت هناك أكثر من ألفي مدرسة للتعليم الابتدائي والثانوي والعالي، فضلا عن مئات المساجد التي كانت تعنى بتلقين اللغة العربية لطلابها، "وقد أدت حركة انتشار التعليم وكثرة معاهده في البلاد إلى انخفاض نسبة الأمية بين الجزائريين، وقدرت نسبة الذين كانوا يعرفون القراءة والكتابة من الجزائريين في ذلك الوقت بأزيد من 55% من جملة سكان القطر الجزائري".[2]

أما مراحل التعليم فلم تكن متميزة كما هو الحال عليه الآن وإنما كانت متداخلة بعضها بعضا، وبصفة عامة كانت هناك مرحلتان هما المرحلة الابتدائية والمرحلة العالية التي تندرج ضمنها المرحلة الثانوية.

(1) تركي رابح، الشيخ عبد الحميد بن باديس ، فلسفته وجهوده في التربية والتعليم (1900-1940) ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر، د.س، ص ص 124-125.

(2) بتصرف: المرجع نفسه ، ص ص 125-126.

ففي المرحلة الابتدائية كان الأطفال فيها يزاولون تعليمهم في الكتاتيب القرآنية التي كانت منتشرة في كل حي من أحياء المدن أو كل قرية من قرى الريف، إضافة إلى الزوايا التي ساهمت بدورها في نشر التعليم الابتدائي.

أما التعليم في المرحلتين الثانوية والعالية فقد كان يُزاول في بعض المدارس التي بناها محبّو العلم وأنصاره من الحكام والأعيان وذوي البر والإحسان، مثل "مدرسة سيدي أيوب" و"مدرسة حسن باشا" في العاصمة و"مدرسة مازونة" وغيرها من المدارس الأخرى في ربوع الوطن.

"وعن المناهج وطرق التدريس في هذه المرحلة فقد كان التعليم في المرحلة الابتدائية يقتصر على تعليم القراءة والكتابة وإتقانهما تمهيدا لحفظ القرآن الكريم وتجويده ثم تعليم المبادئ الأساسية للحساب، فإذا أتم التلميذ حذق هذه المواد فإنه ينتقل إلى التعليم في المرحلة الأخرى"[1]، وفي المرحلة الثانوية والعالية فإن الطلبة كانوا يدرسون علوما متنوعة تنقسم إلى علوم نقلية وعلوم عقلية، فالأولى تشتمل على التفسير والحديث والفقه وأصوله والعلوم المتصلة بالقرآن الكريم، والثانية تشتمل على القواعد والبلاغة والمنطق وعلم التوحيد والفلسفة والحساب والهيئة أو علم الفلك والتاريخ، ولم تكن هناك امتحانات سنوية بالشكل المعروف في الوقت الحاضر ولا مقررات محددة على الطلبة، بل كان الأستاذ يحدد للطلبة في كل يوم ما يدرسونه وبإمكانهم اختيار الأساتذة الذين يشاؤون الدراسة معهم.

2- التعليم في الجزائر في عهد الاحتلال:

لم يتعرض رجال الاحتلال في السنوات الأولى لحركة التربية والتعليم التي وجدوها في الجزائر بطريقة مباشرة لأنهم كانوا مشغولين عنها بعملية إخضاع نواحي البلاد المختلفة لسيطرتهم، ولكنهم اتخذوا قرارا كان له تأثيرا كبيرا في القضاء على تلك الحركة في الأمد البعيد، والذي تمثل في وضع اليد على الأوقاف الإسلامية التي يعتمد عليها التعليم اعتمادا كليا في النهوض بمهمته، ومع التصرف في دخلها لأغراض أخرى غير التربية والتعليم تقلص ظل التعليم شيئا فشيئا إلى أن اختفى معظمه في نهاية الأمر وخصوصا في المدن الكبرى وبقي محصورا في بعض المساجد

(1) تركي رابح، الشيخ عبد الحميد بن باديس ، المرجع السابق ، ص 129.

والزوايا التي بقيت من المراكز الرئيسية التي يتلقى فيها الأطفال الجزائريين التعليم العربي، ويؤكد ذلك مستشار الدولة الفرنسي السيد "**ليون بيكي**" Léon beki بقوله آنذاك: "إن التعليم في الجزائر الآن (1891م) قائم تحت إشراف الأهالي أنفسهم والزاوية حيث يتعلم فيها التلاميذ القرآن وتفسيره، وهي المؤسسة التعليمية الوحيدة في المستعمرة".[1]

إضافة إلى عامل آخر أثر بدوره في تقلص حركة التعليم في الجزائر هو "استشهاد عدد كبير من حملة الثقافة العربية وهجرة بعضهم نحو تونس أو المغرب أو تركيا أو أقطار المشرق العربي، مما أدى إلى فقر البلاد من العناصر المتنورة التي كان من الممكن أن تبعث النهضة التربوية والعلمية فيها وتحافظ على الثقافة العربية من الاضمحلال".[2]

أما عن سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر والتي كانت لها كامل الأثر في تراجع التعليم في ذلك العصر، فقد كانت بارزة للعيان ولم تخرج عن ثلاثة أهداف هي: الفرنسة والإدماج والتنصير، تمثلت الأولى في إحلال اللغة الفرنسية وثقافتها محل اللغة العربية والثقافة الإسلامية، وتمثلت الثانية في ربط الجزائر بفرنسا سياسيا وإداريا وثقافيا وجعلت المدرسة أهم وسيلة من وسائل الإدماج بتلقين أبناء الشعب عادات جديدة في التفكير والسلوك، أما الثالثة فتمثلت في القضاء على الدين الإسلامي ونشر لغة المستعمر وثقافته بين الجماهير الجزائرية وتكريس الاحتلال والاندماج والقضاء على الثورات الشعبية وكل ذلك بواسطة التعليم.

وعندما نشر الفرنسيون التعليم وأسسوا المدارس في البلاد لم يكن هدفهم تثقيف الجزائريين "لأن الثقافة تتيح لهم أفقا أوسع وتبصرهم بحالة وطنهم واستغلال المستعمر له"[3]، بل كان هدفهم من خلال تعليمهم القضاء على لغة لسانهم العربي وتحطيم شخصيتهم، فتصبح اللغة الفرنسية لغة النخبة المثقفة المتعلمة ولغة الإدارة والفئة الحاكمة،

(1) تركي رابح، الشيخ عبد الحميد بن باديس ، المرجع السابق ، ص 132.

(2) بتصرف: المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

(3) المرجع نفسه ، ص 135.

وتسقط اللغة العربية ويقل شأنها وتهون مكانتها وتصبح سمة من سمات الضياع والهوان، لا سمة من سمات الفخر والاعتزاز.

لكن سياسة فرنسة الجزائريين وإدماجهم في الكيان الفرنسي والقضاء على وطنيتهم ولغتهم ودينهم قد فشلت في تحقيق أهدافها، وذلك لمقاومة الشعب الجزائري وتصديه لها بانتقاله من المقاومة المسلحة إلى المقاومة الثقافية ومطالبته بالتعليم لاعتباره وسيلة من وسائل التحرر والتقدم، إضافة إلى ظهور جمعية العلماء المسلمين حينذاك والتي كان لها الفضل العظيم في إعادة إحياء اللغة العربية والتعليم العربي في الوطن الجزائري، فأنشأت المدارس وأرسلت الطلاب إلى الدول العربية في بعثات علمية.

وبالرغم من أن ذلك التحول في مجال التعليم كان ضئيلا بسبب إلقاء القبض على أعضاء الجمعية وغلق مدارسها وبسبب أهوال الحرب والقتل والتفقير بعد اندلاع الثورة فيها، إلا أن التطور في التعليم كان ملحوظا وإن كان بنسبة ضئيلة مقارنة لما كان عليه بدخول المستعمر.

3- التعليم في الجزائر بعد الاستقلال:

ترك المستعمر الفرنسي بعد خروجه من البلاد سنة 1962م حالة التعليم في وضع لا يحسد عليه فكان واقع المنظومة التربوية بعد الاستقلال يعاني من انخفاض في مستوى التمدرس عند الجزائريين ونقص فاحش في تعداد المعلمين وفي الإمكانيات المادية والتجهيزات الدراسية والحاجة إلى الإطارات الفنية خاصة في مرحلة التعليم العام، مما أدى إلى انتشار الأمية وزاد من حدتها وترك مدرسة بعيدة عن الشعب الجزائري وغريبة عن مجتمعه في توجهاتها ولغتها وأهدافها، وبالرغم من ذلك تم تبنيها "وهي لا تنسجم في كثير من جوانبها مع الحقائق الوطنية ولا تستجيب لأهداف البلاد، لأنها أسست في الأصل لغايات تخدم السياسة الاستعمارية المنتهجة في بلادنا يوم ذاك (في فترة الاحتلال)"[1]، مدرسة تعيش في ظل الدولة الجزائرية، تحيا معها وتحت إشرافها ولكن روحها ظلت مرتبطة بالظروف التي أنشأتها ومتأثرة بالنمط الثقافي الذي عاشت في كنفه أكثر من قرن، وهو ما جعل الدولة بجميع

(1) عبد القادر فضيل، المدرسة في الجزائر ، مرجع سبق ذكره ، ص 29.

منظوماتها التربوية ترسم خطوات مستقبلية ومراحل إصلاحية تهدف من خلالها إلى إعادة بناء المدرسة الجزائرية العربية المستقلة الديمقراطية، وهذه المراحل ثلاث هي:[1]

أ- مرحلة هدفها التبني والتوجيه.

ب- مرحلة هدفها الإصلاح الجزئي.

ج- مرحلة هدفها التغيير الشامل.

المرحلة الأولى: التبني والتوجيه

كان القرار السياسي الأول الذي اتخذته الدولة في مجال تسيير شؤون التعليم هو تبني أوضاع المدرسة الموروثة بهدف ضمان سير التعليم بالمدارس القائمة والحرص على استغلال كل طاقاتها من أجل توفير فرص التعلم لأكبر عدد من الأطفال، وبما أن نظام هذه المدارس لم يكن يستجيب لتطلعات الشعب ولا ينسجم مع العهد الجديد فقد ألحت مطالب المجتمع على إحداث التغييرات الممكنة التي تخلص المدرسة من غربتها وتقربها من مجتمعها وترسم الأسس والمبادئ الكفيلة بإقامة المدرسة الجزائرية المرتقبة، فكان من الإجراءات العاجلة التي أثرت في توجيه نظام التعليم وإعطائه صورة غير الصورة التي كان عليها قبل ذلك:[2]

- ترسيم تعليم اللغة العربية والدين الإسلامي في مناهج التعليم.

- توجيه عناية لدروس التاريخ وتصحيح مسار تدريس هذه المادة.

- تكثيف الجهود الرامية إلى توفير إطارات التعليم التي كان توفيرها يشكل عبئا ثقيلا على الدولة نتيجة الفراغ الذي تركه المعلمون الفرنسيون المرحلون.

- إبطال العمل بالقوانين والإجراءات المدرسية التي تتعارض مع السيادة.

ومن الملاحظ أن التعليم في هذه الفترة لم يعرف تغييرا في البرامج ولا في التنظيم.

المرحلة الثانية: الإصلاح الجزئي والتصحيح الضروري

(1) عبد القادر فضيل، المدرسة في الجزائر ، المرجع السابق ، ص ص 31-32.
(2) المرجع نفسه ، ص 32.

"إن تصحيح الوضع اللغوي في التعليم كان في طليعة الأهداف المرسومة في صلب السياسة التعليمية النظرية، ثم إنه كان من أهم المطالب التي ظلت تلح عليها الجماهير في مجال إعادة الاعتبار للغة العربية وتمكينها من ممارسة وظيفتها الأساسية المتمثلة في نقل المعارف والعلوم وتبليغها للأجيال"[1]، ورغم أن عمليات التصحيح والإصلاح التي تواصلت في هذه المرحلة تمت بأسلوب يفتقر إلى الدقة في التخطيط والوضوح في الرؤية، إلا أنها حققت النتائج التالية:[2]

- تعريب الصفوف الأربعة الأولى من التعليم تعريبا شاملا.
- تعريب المواد الاجتماعية (التاريخ، الجغرافيا، الفلسفة) في مختلف المراحل.
- تعريب ثلث أقسام المواد العلمية تعريبا تاما في المراحل الثلاث.
- ضبط التصور القانوني الكامل لبناء نظام تربوي وطني.

وقد صاحبت هذه النتائج وضع مناهج تربوية لكل المراحل وتأليف الكتب وتصميم الوسائل التعليمية وتكوين الإطارات في الجامعات العليا التي أصبحت مفتوحة لكل الجزائريين بعدما كانت حكرا على نخبة من الطلبة.

المرحلة الثالثة: التغيير الشامل وبناء النظام التربوي الوطني

كان هدف التحويرات والإصلاحات الجزئية التي تمت على فترات متعاقبة إعادة صياغة النظام التعليمي الموروث صياغة جديدة وهي التي مهدت السبيل لهذا التغيير الشامل الذي أدى إلى بناء نظام تربوي وطني مستخلص من ظروف وتجارب وتحولات المجتمع الجزائري، المعبر عن توجهات وتطلعات أجياله والمؤسس وفق الاتجاه الفكري والعقائدي الذي تسير عليه البلاد سياسيا واجتماعيا، وقد تم تحقيق بعض الإجراءات في هذه الفترة تمثلت في:[3]

(1) عبد القادر فضيل، المدرسة في الجزائر ، ص 33.
(2) المرجع نفسه ، ص 35.
(3) بتصرف: المرجع نفسه ، ص ص 36-37.

– إقرار نظام التعليم الأساسي الذي يعوض التعليم الابتدائي والمتوسط ويمدد المرحلة الإلزامية إلى تسع سنوات ويدمج في مناهجه بين العمل الفكري والعمل اليدوي، ويربط المدرسة بالمحيط الاجتماعي والاقتصادي.

– جعل اللغة العربية لغة تعليم جميع المواد في جميع المراحل.

– التركيز على التربية العلمية والتكنولوجية.

– تنظيم تعليم اللغات الأجنبية بصفتها روافد مساعدة على التفتح على العالم.

– تجديد نظام التعليم الثانوي وتنويع المسارات الدراسية التي تنظم الاختصاصات على أساسها مع تطوير أساليب التوجيه وطرائق التعامل مع المعرفة.

المطلب الثاني: نشأة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

من منّا لا يعرف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي أحيت الجزائر وأعادت إليها لغتها ودينها بعد أن كاد المستعمر الفرنسي أن يمحو أثرهما، تلك الجمعية التي ألفت الجهاز الضخم في كيانها والفكرة المستقلة في ضميرها والمعبرة عن روحها فتُرجمت في أعمال بدأت من نشر العلم والدين والوعي السياسي وانتهت إلى ثورة مساحة كانت الخاتمة والنتيجة الطبيعية لحركتها، وكأي جمعية قانونية رسمية معترف بها كانت لها أسبابا وظروفا ساهمت في تكوينها، وأهدافا عجلت من ظهورها، وأعمالا أثرت في شعبها فأعادت إحياء بلدها.

1– نشأتها:

في شهر جويلية من عام 1930م بلغ من عمر الاحتلال الفرنسي للجزائر قرنا كاملا، فأقامت فرنسا بهذه المناسبة احتفالات صاخبة في الجزائر كلها قدرت لها أن تدوم ستة أشهر كاملة غير أنها لم تدم سوى شهرين فقط نظرا لمقاطعة الشعب الجزائري لها وغضبه على إقامتها بتلك الصورة الاستفزازية التي أثرت في مشاعر الجزائريين وإحساسهم، "حيث أشعرتهم بالذل والمهانة وذكرتهم بمئات الألوف من الشهداء من آبائهم وأجدادهم الذين سقطوا في ميادين الجهاد طيلة أكثر من نصف قرن دفاعا عن حرية بلادهم واستقلالها"[1]، وكانت لهذه الطريقة

(1) تركي رابح، الشيخ عبد الحميد بن باديس، مرجع سبق ذكره ، ص 66.

الاستفزازية التي عمدت إليها فرنسا من خلال هذه الاحتفالات وإضافة إلى ظروف موضوعية أخرى كطلب الحرية والاستقلال والنهوض بالبلاد وطرد المستعر منها واسترجاع العروبة إليها، عاملا قويا في سرعة إخراج فكرة تكوين جمعية العلماء من حيز الأماني إلى حيز الوجود الفعلي كي تعمل على صيانة عروبة الجزائر وإسلامها من الأخطار المحدقة بهما.

وهكذا برزت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين إلى الوجود رسميا في الخامس من شهر ماي سنة 1931م، مكونة من صفوة من علماء الجزائر الذين كان لهم ماض حافل في خدمة الثقافة العربية والدعوة الإصلاحية السلفية مثل: الشيخ عبد الحميد بن باديس، ومحمد البشير الإبراهيمي، والطيب العقبي، والعربي التبسي ومبارك الميلي وغيرهم من العلماء الذين جمعت بينهم وحدة الهدف و وحدة الفكرة والمشرب والغاية، فاتخذت في بداية تكوينها "نادي الترقي" الذي أسس بالعاصمة سنة 1926م مقرا لها عقدت فيه اجتماعاتها وأقامت به مؤتمراتها السنوية ومارست منه نشاطها العام.

وقد تولى رئاستها "الشيخ عبد الحميد بن باديس" الذي انتخبه زملاؤه رئيسا للجمعية في غيابه بالإجماع، وتولى نيابة الرئاسة "الشيخ محمد البشير الإبراهيمي" الذي أصبح رئيسا لها بعد وفاة ابن باديس سنة 1940م، واستمر برئاستها حتى حُلّت الجمعية في عام 1956م بعد قيام ثورة نوفمبر سنة 1954م، و وُزّعت مهام الجمعية في فترة نشأتها بين أعضائها، فتولىّ الرئيس ابن باديس مسؤولية العمل في قسنطينة، وتولىّ الطيب العقبي نائب الأمين العام مسؤولية العمل في العاصمة، أما البشير الإبراهيمي نائب الرئيس فقد تولىّ مسؤولية العمل في وهران على أن تكون إقامته في تلمسان وذلك لثلاثة أسباب هي:[1]

– أهمية مدينة تلمسان التاريخية والحضارية، فهي عاصمة لإحدى الدول الجزائرية؛ هي الدولة الزيانية، وهي حاضرة علمية أنجبت واستقطبت كثيرا من العلماء والأدباء.

(1) أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ، ج1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1997 ، ص 31.

– وجود إحدى المدارس العربية الثلاث بها، وهي مدارس فرنسا في منتصف القرن 19م، فهي أحد المراكز الاستشراقية الفرنسية في الجزائر، فكان لا بد من وجود شخصية علمية كبيرة تستطيع مواجهة تأثير الفكر الاستشراقي.

– تنفيذ موعدة وعد بها الإمام ابن باديس مصلحي تلمسان، حيث سبق له أن زارها سنة 1932م وألقى بها درسا فأُعجب به التلمسانيّون وأرادوا إبقاءه بينهم فاعتذر و وعدهم أن يرسل إليهم من هو أعلم منه.

وقد كان الجوّ الذي نشأت فيه جمعية العلماء هو الجوّ الذي بلغ فيه الاستعمار الفرنسي ذروة شدته، فكان الفرنسيون قد سلبوا الأراضي من أصحابها وامتلكوها وساروا على خطة التنكيل بالجزائريين المسلمين واحتقارهم وتجهيلهم وإقصائهم عن جميع مرافق الحياة، "واتخذوا كل الخطط لمنعهم من تعليم الدين والقرآن واللغة العربية، واستولوا استيلاءً مباشرا على الأوقاف فأخذوا أموالها، وعلى المساجد فاتخذوا بعضها كنائس".[1]

2– أهدافها:

تتلخص مبادئ جمعية العلماء المسلمين بصفة إجمالية في الشعار الذي ينسب إلى رئيسها الأول "الشيخ عبد الحميد بن باديس" وهو "الإسلام ديننا، والعربية لغتنا، والجزائر وطننا".[2]

أما أهدافها فيمكن تلخيصها فيما يلي: [3]

1– تطهير الدين من الخرافات والبدع، عن طريق الخطب والمحاضرات ودروس الوعظ والإرشاد في المساجد والأندية والأماكن العامة والخاصة.

2– الشروع العاجل في التعليم العربي والمطالبة بحريته والعمل على تعميمه.

3– مطالبة الحكومة برفع يدها على المساجد والمعاهد التي استولت عليها.

(1) محمد الطاهر فضلاء، الإمام الرائد الشيخ محمد البشير الإبراهيمي ، نشر وطبع وتوزيع مكتبة ومطبعة البعث ، قسنطينة ، الجزائر، 1967 ، ص 148.

(2) تركي رابح، الشيخ عبد الحميد بن باديس ، مرجع سبق ذكره ، ص 68.

(3) بتصرف: المرجع نفسه ، ص 69.

4- مطالبة الحكومة بتسليم أوقاف الإسلام التي احتجزتها ووزعتها على معمريها.

5- مطالبة الحكومة باستقلال القضاء الإسلامي.

6- مطالبة الحكومة بعدم تدخلها في تعيين الموظفين الدينيين.

7- الدفاع عن الذاتية الجزائرية التي هي العروبة و الإسلام و الوطن.

8- إحياء اللغة العربية وآدابها وتاريخها في موطن عربي وبين قوم من العرب.

9- توحيد كلمة المسلمين في الدين والدنيا، وتقوية أواصر الأخوة بين العرب والمسلمين.

10- تقوية رابطة العروبة بين العربي والعربي لأن ذلك طريق لخدمة الأدب.

3- أعمالها:

تحت ستار العمل الديني البحت ونشر التعليم والتهذيب بين أطفال الجزائر، ودروس الوعظ والإرشاد للكبار من المواطنين، كانت جمعية العلماء تخوض في الأمور السياسية وتوجه الشعب توجيها عربيا إسلاميا وطنيا يناقض سياسة الاحتلال، دون أن تستطيع الإدارة الاستعمارية أن تتعرض لها، وكان رجالها يفلتون من مكائد الإدارة الفرنسية ومناوراتها، كما أنها تركت لأعضائها الحرية الكاملة في الخوض في المسائل السياسية العامة بصفتهم الشخصية لا بوصفهم أعضاء فيها.[1]

وقد لعبت الجمعية دورا بالغ الأهمية في التاريخ الجزائري الحديث ولا نغالي إذا قلنا أنها المنظمة الوطنية التي يعود إليها الفضل في بقاء الإسلام والعروبة في الجزائر حتى يومنا هذا، بتجنيبها من مخاطر سياسة الإدماج والفرنسة التي فرضها الاستعمار على الجزائريين بكل الوسائل الخبيثة.

كما أن نشاط الجمعية في العمل على المحافظة على الشخصية القومية للشعب الجزائري لم يقتصر على الجزائر فحسب، بل امتد إلى فرنسا، حيث بعثت الوفود وأسست النوادي والمدارس لتعليم أبناء الجالية الجزائرية الكبيرة

(1) بتصرف: تركي رابح، الشيخ عبد الحميد بن باديس، المرجع السابق ، ص 70.

العدد في فرنسا وإلقاء دروس الوعظ والإرشاد على المواطنين الجزائريين هناك وذلك ابتداءً من عام 1936م، وإصدارها العديد من الصحف باللغة العربية نشرت فيها أفكارها وبلّغت دعوتها للمواطنين الجزائريين من خلالها.

4- خزينتها:

مالية جمعية العلماء المسلمين تأتيها من موردين: "اشتراكات الشعب الشهرية، والتبرعات غير المحدودة، وقد أصبحت ميزانيتها في السنوات الأخيرة من تكوينها ضخمة قسمتها إلى أقسام، فمالية بناء المدارس لا تدخل خزينة الجمعية بل تقبضها الجمعية المحلية وتنفقها على البناء، أما المالية الخاصة، فبأجور المعلمين والقائمين على المدرسة، تُؤخذ من آباء التلاميذ بواسطة أمين مال الجمعية المحلية في مقابل إيصالات رسمية مختومة يختمها، ولا تحاسب جمعية العلماء إلا في آخر السنة في اجتماع، والمال الذي يتحصل من الاشتراك العام في الجمعية هو الذي يدخل إلى خزانتها ويضاف إليه ما يتحصل من التبرعات غير المحدودة، وتقرر الجمعية في كل اجتماع عام أن تعرض على المجلس الإداري جميع المداخيل المذكورة من أجور التعليم والاشتراكات العامة والتبرعات كل ميزانية على حدى، وكل مدرسة يفيض دخلها على خرجها يدخل مبلغها الفائض في الخزينة العامة، وكل مدرسة ينقص دخلها على خرجها يُعتمد لها من الخزينة العامة ما يسدد عجز ميزانيتها، وكل هذا على نظام بديع يؤدي إلى اشتراكية بين المدارس مع بعضها وبين الشعب والجمعيات المحلية".[1]

نفهم من خلال أعمال الجمعية وأهدافها ومبادئها، أنها قد أحيت الجزائر وبعثت فيها عربيتها التي كادت تغيب وإسلامها الذي كاد يُقضى عليه، ولو أن حركات التحرر السياسي في الجزائر سارت بطريق آخر وعلى منهج بعض الهيئات التي أُنشئت في جو التأثر بالثقافة الفرنسية، لكانت الجزائر اليوم قطرا فرنسيا ولو أنه مستقل استقلالا ذاتيا ولكنه استقلال يمحو ذاتيتها ويزيل عنها إسلامها وعربيتها، فهي التي حققت للجزائري نسبه العربي

(1) بتصرف: محمد البشير الإبراهيمي، أنا ، الثقافة ، العدد 87 ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، وحدة الطبع المتعددة ، ورشة أحمد زبانة ، الجزائر، 1985 ، ص ص 30-31.

الصحيح بريئا من شوائب الإقراف والهجنة، وأحيت في نفسه شعور الاعتزاز بنفسه، وفي لسانه شعور الكرامة للغته، وفي ضميره شعور الارتباط بين ثلاثة مقومات: الجنس واللغة والوطن.

المطلب الثالث: إعادة إحياء البشير الإبراهيمي للتعليم في الجزائر

تطرقنا من قبل إلى الحديث عن المراحل التاريخية للتعليم في الجزائر وذكرنا أنه قبل دخول المستعمر إليها كان التعليم في أحسن حال، وتدهور بمجرد وطأة الاستعمار الأراضي الجزائرية وتطبيق الحكومة الفرنسية لسياسة الفرنسة والتجنيس والإدماج التي ساعدتها على تحطيم اللغة العربية والشخصية الجزائرية وكل ذلك بواسطة التعليم، وقد قابلها رجال الإصلاح وعلماء الجزائر بالطريقة ذاتها لاسترجاع مكانة اللغة العربية وتقويم الشخصية الجزائرية ذات الديانة الإسلامية وإعادة إحياء التعليم بنشره في المدن والقرى وتطبيقه في المدارس والمعاهد وغيرها من مراكز التعليم، ورغم أن فرنسا وضعت عراقيل مختلفة في وجه هذا التعليم وقاومته بشتى الوسائل التي تحول دون انتشاره بين عامة الشعب، إلا أن الشعب الجزائري لم يستسلم لإرادة المستعمر وقاومها بكل قوة في سبيل تعليم أبنائه اللغة العربية والدين الإسلامي، لحاجته لذلك وعدّه العلم سلاحا يساعدهم على المقاومة ونيل الحرية والاستقلال وطرد المستعمر من البلاد، وبفضل جهود علماء المسلمين الجزائريين وعلى رأسهم الشيخ "البشير الإبراهيمي"، أُعيدت مكانة التعليم الجزائري، والذي بفضله أنجبت الجزائر الكثير من العلماء الذين عرّفوا باسمها في العديد من الدول وأخرجوا شعبها من التخلف والجهل أيام الاستعمار إلى التقدم والازدهار بعده.

وكان من أسباب ودوافع نشر التعليم وإحياءه على يد نائب ورئيس جمعية العلماء "الشيخ محمد البشير الإبراهيمي"، أنه استمع و"عبد الحميد بن باديس" إلى أحد زعماء فرنسا وهو يخطب في الذكرى المأوية لاحتلال الجزائر فيقول: "إن احتفالنا اليوم ليس احتفالا بمرور مائة سنة على احتلالنا الجزائر، ولكنه احتفال بتشييع جنازة الإسلام فيها"[1]، ومن هذا القول تأكد الشيخان أن هدف فرنسا لم يكن استعباد العباد واستغلال البلاد ونهب خيراتها وثرواتها، بل كان يهدف إلى هدم مقومات الشعب الأساسية ومحو عقائده الإسلامية وتحطيم شخصيته

(1) محمد الطاهر فضلاء، الإمام الرائد الشيخ محمد البشير الإبراهيمي ، مرجع سبق ذكره ، ص 88.

العربية، فكان ذلك بمثابة نقطة انطلاق شمّر فيها الإبراهيمي وبن باديس عن ساعديهما لمقاومة هذا الاستعمار وردّ أهدافه الشيطانية وذلك بتكوين جمعية العلماء المسلمين التي استعانت بالصحافة على نشر دعوتها لاسيما جريدة البصائر التي كانت لسان حالها وكان الإبراهيمي قطب رحاها، وواجهت الاستعمار بنشر العلم والثقافة فبدأت بتربية النشء تربية إسلامية عربية من خلال المدارس التي أسّستها بعون الشعب الجزائري لها، حتى أصبحت الجمعية أشبه ما يكون بوزارة تربوية شعبية لها مالية مستقلة وإدارة محكمة.

كما كان الإبراهيمي يؤمن إيمانا قاطعا بأن حياة الأمم بصفة عامة وحياة الجزائر بصفة خاصة لا تأتي إلا عن طريق المدرسة والتعليم، حيث كان يقول: "حياة الأمم في هذا العصر بالمدارس، الحياة بالعلم والمدرسة منبع العلم ومشرع العرفان وطريقة الهداية إلى الحياة الشريفة..."[1]، لذلك وجّه مجهوده المادي والأدبي لهذا الميدان وعمل من أجله إلى آخر حياته، فحرص على إحياء ونشر التعليم بإصلاحه ومحو الأمية التي تحد من تقدمه، فوضع مع غيره من العلماء المسلمين برنامجا واسعا لإصلاح التعليم الحر في الجزائر والنهوض به منطلقا في وضع هذا البرنامج من دراسة موضوعية شاملة للمجتمع الجزائري، فأبان عن فلسفة تربوية إصلاحية عميقة تجلت في تقريره الشامل عن الأمية الذي ألقاه في مؤتمر جمعية العلماء "بنادي الترقي" سنة 1935م، حلّل فيه أخطار الأمية تحليلا علميا دقيقا، ووضع الأسس السليمة لعلاجها حيث قال: "الأمية بمعناه اللغوي العربي هو الجهل بالقراءة والكتابة، مرض فتاك، ونقيصة مجتاحة، ورذيلة فاضحة، وشلل وزمانة في جسم الأمة التي تبتلي بها، فإذا كنا نعرف من شؤون الأفراد أنّ من يصاب منهم بشلل تتعطل منه وظيفة العضو المصاب، كذلك يجب أن نعرف من شؤون الأمم هذه الآثار السيئة التي تنشأ عن الأمية وهي تعطيل المواهب والقوى، مع الفرق العظيم بين تعطيل وظائف أجزاء الجسم وبين تعطيل الأمة".[2]

(1) محمد الطاهر فضلاء، الإمام الرائد محمد البشير الإبراهيمي ، المرجع السابق ، ص 110.

(2) عبد الرحمن شيبان، الإمام الشيخ محمد البشير الإبراهيمي واللغة العربية ، الثقافة ، مرجع سبق ذكره ، ص 83.

كما حارب الآفات التي تعيق العلم وتسدّ أبوابه في وجه الشعب الجزائري بما في ذلك الاستعمار الروحاني الذي كان يسعى إلى تجهيل الأمة لئلاّ تفيق بالعلم، فوضع بعد أن كلفه إخوانه أعضاء المجلس الإداري لائحة داخلية تخص أعمال الجمعية، وقد كان من بين تلك الأعمال ما يتعلق بالجانب التعليمي منها:[1]

- الشروع العاجل في التعليم العربي للصغار وتعميمه في كامل ربوع الوطن.
- تجنيد المئات من التلاميذ المتخرجين ودعوة الشبان المتخرجين من جامع الزيتونة للعمل في تعليم أبناء الشعب.
- مطالبة الحكومة برفع يديها على المساجد والمعاهد لاستخدامها في تعليم اللغة والدين للأمّة.

وقد خُصّص الإبراهيمي بمقاطعة وهران التي كانت عاصمتها القديمة تلمسان، فأحيا بها العلوم حتى أنشأ فيها مدرسة "دار الحديث" فاختار لها نخبة من العلماء الأكفاء للصّغار وتولّى بنفسه تعليم الطلبة الكبار المتمثلين في أهل البلد والوافدين، وكان يتجول في مدينة وهران ومداشرها المختلفة فيلقي فيها دروسا في الوعظ والإرشاد ومختلف قضايا العلم، ورغم اعتقاله من طرف الحكومة الفرنسية إلا أن ذلك لم ينقص من عزيمته وإرادته في نشر التعليم وإعادة إحيائه، فما إن أُطلق سراحه حتى بادر في إنشاء المدارس، يقول في هذا الصدد: "كانت فاتحة أعمالي تنشيط حركة المدارس فأنشأت في سنة واحدة ثلاثا وسبعين مدرسة في مدن وقرى القطر كلّه، كلها بأموال الأمة وأيديها، واخترت لتصميمها مهندسا عربيا مسلما فجاءت على طراز واحد لتشهد للأجيال القادمة أنها نتاج فكرة واحدة".[2]

وكان يحث الأمة على شراء الأملاك لاتخاذها مدارس، فكان يقول: "أُنظروا للمستقبل وابنوا للجيل الآتي، والبنيان يدل على مقدار همة الباني، لتكن المدرسة واسعة تسع أكبر عدد ممكن فإنها مع طول الزمن ستضيق، والمدرسة إذا كانت ملكا للأمة فإن الأمة لا تتنازل عنها والحكومة لا تنتزعها، أما إذا كانت المدرسة ليست ملكا للأمة فإنها قد تتسامح فيها، أو تلوح الحكومة من بعيد لمالكها فيُخرِج أبناء المسلمين منها".[3]

(1) بتصرف: محمد البشير الإبراهيمي، أنا ، الثقافة ، المرجع السابق ، ص 24.
(2) المرجع نفسه ، ص 28.
(3) محمد الطاهر فضلاء، الإمام الرائد محمد البشير الإبراهيمي ، المرجع السابق ، ص 141.

ولم يُنكر بعدها مساعدة الأمة في إنشاء المدارس، يقول: "وتهافتت الأمّة على بذل الأموال لتشييد المدارس حتى أربت على الأربعمائة مدرسة ولم أتخلّ بعد رئاستي للجمعية وخروجي من المنفى عن دروسي العلمية للطلبة وللعامة"[1]، كما أنه لم يكتف بالتعليم الابتدائي فهو في نظره غير كاف لأنّ وراءه درجات إن لم يؤد إليها كان عقيما وعاطلا، والوقوف عنده فيه فساد للجيل وزهد في العلم وفتور في الهمم وفساد في التصور، ولهذا عندما بلغ عدد المتخرجين عشرات الآلاف بالشهادة الابتدائية ولاسيما عندما ذاقوا حلاوة العلم وأصرّوا على الإبراهيمي بالمزيد منه، لم يبخلهم بذلك رغم الثورة والاستعمار وانشغالاته العديدة في جمعية العلماء وجريدة البصائر، فكان واجبا عليه أن يخطو بهم إلى التعليم الثانوي، فطلب عونا من الأمة فأعانته وأنشأ بذلك معهدا ثانويا بمدينة قسنطينة نسبه إلى إمام النهضة "عبد الحميد بن باديس" تخليدا لذكراه، هيّأ له الأساتذة والتلامذة والكتب والمال، فكان التعليم فيه بالمعنى الكامل ببرامجه وكتبه وأدواته، ومنه اتجهت بعثات الطلبة إلى جامع الزيتونة بتونس وإلى الجامعات بالمشرق، "فساهم في تقوية الطلاب في الدّين علما وعملا، وفي القرآن حفظا وفهما، وروّض ألسنتهم على القراءة والخطابة، وأقلامهم على الإنشاء والكتابة، وعقولهم على التفكير الصحيح، وهيّأهم تهيئة صحيحة قوية للتعليم العالي".[2]

وهكذا كان الإبراهيمي كالشعلة التي بثّت في الجزائر ثورتها الثقافية، تلك الثورة التي مكّنت الشعب الجزائري من نيل استقلاله عام 1962م بعد 130سنة من الاستلاب، كما مكّنته من استرجاع هوّيته العربية الإسلامية التي ما فتئ يكافح من أجلها ابتداءً من مقاومة الأمير عبد القادر وانتهاءً بثورة نوفمبر 1954م.

(1) محمد البشير الإبراهيمي، أنا ، الثقافة ، مرجع سبق ذكره ، ص 28.

(2) أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ، ج3 ، مرجع سبق ذكره ، ص 255.

خاتمة الفصل:

كخلاصة لهذا الفصل الذي تطرقنا فيه إلى التعليم والتعليمية في المدارس الجزائرية بمناهجه ومراحله التاريخية والعقبات التي واجهت التعليم الجزائري نتيجة للاستعمار الفرنسي وسياساته الخبيثة، تبين لنا أن أهم وسيلة اعتمدتها الجزائر لاسترجاع سيادتها وهويتها ودينها ولغتها هي التعليم الذي كان سلاحا قويا في أيدي الجزائريين ساعدهم على مكافحة المستعمر ثقافيا وإخراجه من البلاد نهائيا سنة 1962م، وذلك بفضل كبار الجزائر وعلمائها أمثال الشيخ "البشير الإبراهيمي" الذي أحيا التعليم في الجزائر بعدما عرف تدهورا كبيرا بدخول المستعمر إليه، ونتيجة لتطبيق مجموعة من الإصلاحات في قطاع التربية والتعليم تحسّن مستوى التعليم في كافة المراحل التعليمية من الطور الابتدائي إلى الجامعي وتمّ تبني مناهج جديدة لها أهدافها وغاياتها الخاصة، ساهمت كل هذه الإنجازات في جعل النظام التربوي الجزائري يقوم على أسس وطنية ديمقراطية علمية عالمية لا تخرج عن الدين الإسلامي واللغة العربية.

الفصل الثاني: الإسهامات التعليمية للبشير الإبراهيمي

تمهيد

1/ التعليم ومقومات العملية التعليمية عند البشير الإبراهيمي

*** التعليم عند البشير الإبراهيمي**

*** مقومات العملية التعليمية عند البشير الإبراهيمي**

2/ مناهج التعليم عند البشير الإبراهيمي

*** المناهج التعليمية الصالحة عند البشير الإبراهيمي**

*** برامج التعليم عند البشير الإبراهيمي**

3/ طرق التعليم و وسائله عند البشير الإبراهيمي

*** طرق التعليم الصحيحة في نظر البشير الإبراهيمي**

*** وسائل التعليم عند البشير الإبراهيمي**

4/ التعليم وعناصر العملية التعليمية في المنظومة التربوية الحديثة

تمهيد:

تبارك الذي خلق محمد البشير الإبراهيمي فجعله كاتب الجزائر الأصيل وابن العروبة السليل وحامي حمى الإسلام المثيل، أمدّه بالإلهام فكان عقله ناطقا بسمو الفكر ولسانه ذاكرا لله بالشكر وضميره طافحا بحب الأمة إلى حد السّكر، تفتخر به الجزائر ويفتخر به أبنائها الذين هم أبناؤه ونتاج علومه، كرّس حياته منذ نعومة أظافره للعلم والتعليم، ولأنه تربّى على أيدي كبار الشيوخ من أهل العلم والدين والثقافة كانت له نظرة خاصة للتعليم الذي اهتم به اهتماما كبيرا وجعل نشره بين أبناء أمته الهدف الأول في حياته، هادفا من ذلك إلى إنشاء وتكوين النشء الصالح والجيل المثقف الذي تنهض به الجزائر وتعتمد عليه في الذود عن وطنيتها وعروبتها وإسلامها من كل عدو يفكر في احتلالها.

وبفضل الإبراهيمي تتمتع الجزائر بالتعليم إلى يومنا هذا، لأنه واضع اللبنة الأساسية لأسسه ومناهجه وبرامجه، ولكن السؤال المطروح هو: هل اتّبعت المنظومة التربوية الجزائرية الحديثة تعليمية الإبراهيمي واستمرت في تطبيقها وتطبيق ما نادى به حول كل ما يتعلق بالتعليم والتعليمية وأقطابها الثلاث ومناهجها وطرقها وبرامجها وأساليبها؟ أم اتّبعت منظومة تربوية غربية وغريبة عن واقعنا وثقافتنا؟.

وستناول في هذا الفصل كل ما نستطيع به الإجابة عن تساؤلاتنا حول واقع التربية والتعليم في الجزائر في عصرنا الحالي، وسنذكر أهم الإسهامات التعليمية والجهود الجبّارة التي قدمها الإبراهيمي لوطنه وأبنائه من خلال أفكاره التعليمية ونظرته للمعلم والمتعلم والمادة المعرفية والمنهج الأصح اتباعه لتحقيق أهداف التعليم وغاياته، إضافة إلى نصائحه للمعلم والمتعلم وأساليب التعليم وطرائقه الصحيحة، محاولين من ذلك الوصول إلى حقيقة التعليم بعد الإبراهيمي، كاشفين عن أثر هذه الشخصية الفذة في تاريخ الجزائر.

المبحث الأول: التعليم و مقومات العملية التعليمية عند البشير الإبراهيمي

اهتم العلامة محمد البشير الإبراهيمي بالتعليم في عهد كان الاستعمار فيه يعمل بكل جهوده على محوه والقضاء على ما يستطيع الشعب الجزائري أن ينهض به ويمكنه من طرد المستعمر من بلاده، لأن أهم وسيلة للكفاح هي الكفاح الثقافي المتمثل في العلم والتعليم، وبما أن الثورة عند الإبراهيمي لم تكن سلاحا كافيا للاستقلال، فقد عززها وزاد من قوتها ومتانتها عندما جعل التعليم وسيلة هامة تساعدها عل تحقيق أهدافها وأهم طموحاتها وغاياتها، ألا وهي الاستقلال.

ولا ينكر أي قارئ لما خلفه البشير الإبراهيمي من آثار، وبخاصة مقالاته التي جُمعت في "جريدة البصائر" أنه اهتم بأركان التعليم وأسسه التي اهتمت بها التعليمية حديثا، وهي المعلم والمتعلم والمادة التعليمية، فحاول بكل جهوده ترسيخ مبادئ التعليم وتكوين عناصره تكوينا فعالا يترك في أبناء الشعب أثرا عظيما، فيُعوّض جهله بنور العلم ليفيق من سباته ويتحرر من قيود الاستعمار.

المطلب الأول: التعليم عند البشير الإبراهيمي

يعد الإبراهيمي التعليم ركنا أساسيا لا بد منه لتحرير الشعب الجزائري من قبضة الاستعمار، ومرجعية تساهم في توعيته وتنوير عقوله بنور العلم المنير، ولا يتم التعليم إلا بالعلم لأنه مادته الأساسية ومن قيمته قال عنه: "العلم ...العلم...أيها الشباب، لا يلهيكم عنه سمسار أحزاب ينفخ في ميزاب، ولا داعية انتخاب في المجامع صخاب، ولا يلفتنّكم عنه معلل بسراب، ولا حاو بجراب، ولا عاو في خراب يأتمّ بغراب، ولا يفتننّكم منزو في خنقة ولا ملتو في زنقة، ولا جالس في ساباط على بساط يحاكي فيكم سنة الله في الأسباط، فكل واحد من هؤلاء مشعوذ خلاب، وساحر كذاب".[1]

وما هذا الخطاب إلا تحذير للطلاب من مخاطر هذه الآفات التي انتشرت بوجود المستعمر في الجزائر، فكان لا بد من تنبيههم بتذكيرهم بالعلم وأهميته في مواجهة الخرافات والبدع والمخادع، ودفعهم إلى تعلمه في المدارس

(1) أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ، ج3 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1997 ، ص 17.

والمعاهد وجميع الزوايا وأماكن التعليم، ومن أجل ذلك جعل الإبراهيمي التعليم العربي شغله الشاغل وهمّه الدائم وكان يعتبره قضية حياة لا بقاء للشعب الجزائري إلا به.

وكان التعليم في نظر الإبراهيمي "نوع من الجهاد، والمدارس ميادين جهاد، والمعلمين مجاهدين مستحقين لأجر الجهاد"[1]، ويعني هذا أن التعليم جهاد في سبيل الله، فهو وسيلة لتحقيق الاستقلال ووسيلة للتقدم والازدهار واللحاق بركب الأمم والحضارات.

ومنه حاول الإبراهيمي محاربة كل الآفات التي تعيق العلم وتسدّ أبوابه في وجه الشعب الجزائري، وقد ذكرنا سابقا أنه شرع في تعليم الصغار تعليما عربيّا، وجند المئات من التلاميذ المتخرجين ودعى الشبان من جامع الزيتونة للعمل في تعليم أبناء الشعب، كما طالب الحكومة برفع يديها على المساجد والمعاهد لاستخدامهما في تعليم اللغة والدّين اللذان كانت الأمة بحاجة ماسة إليهما، والأمة حسب الإبراهيمي لا تنهض إلا بالعلم، يقول في ذلك: "إنك لا تنهضين إلا بالعلم، وإن نهضة لا يكون أساسها العلم هي بناء بلا أساس ولا دعامة".[2]

كما كان يؤمن إيمانا قاطعا بأن حياة الأمم بصفة عامة وحياة الجزائر بصفة خاصة لا تأتي إلا عن طريق المدرسة والتعليم حيث كان يقول: "الحياة بالعلم، والمدرسة منبع العلم ومشرع العرفان وطريق الهداية إلى الحياة الشريفة، فمن طلب هذا النوع من الحياة من غير طريق العلم زلّ، ومن التمس الهداية إليه من غيرها ظلّ، وحياة الأمم التي نراها ونعاشرها شاهد صدق على ذلك".[3]

والتعليم عند الإبراهيمي شيء مميز للغاية، فهو ليس مجرد حشو لأدمغة التلاميذ بمعلومات كثيرة ينسونها بالسرعة التي تعلموها بها لغرابتها عنهم وعن وضعهم، بل يريد الإبراهيمي من التعليم ان يكون تعليما عمليا ملتصقا بواقع الحياة وهادفا إلى تكوين إنسان فعال، لأن غاية التعليم في نظره "تعريف الجيل بنفسه، بمعرفة تاريخه تلك الأصول التي جهلها آباؤنا فشقوا بجهلها، وأصبحوا غرباء العالم مقطوعين عنه لم يعرفوا انفسهم فلم يعرفهم أحد، إنه تعليم

(1) أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ، ج2 ، المرجع السابق ، ص 20.

(2) المرجع نفسه ، ج3 ، ص 254.

(3) محمد البشير الإبراهيمي، مدارس جمعية العلماء، البصائر(1949-1950) ، العدد 93 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2006 ، ص 21.

يساير روح العصر وقوته ونظامه، لا تعليما يحمل جراثيم الفناء وتحمله نذر الموت، إنه تعليم عربي عليه طابعها وفيه أثر يديها، وله مالها من روح، وعليه ما عليها من سمات، وأداة التعليم لا تكون إلا العربية لأنها جزء من كيان الأمة الجزائرية السياسي والديني وشرط في بقائها".[1]

اهتمام الإبراهيمي بالتعليم الابتدائي:

ركّز محمد البشير الإبراهيمي على التعليم الابتدائي ومراحله لأنه يمثل "مراحل التكوين الأولى للناشئة، وعلى أساسها يبني مستقبلهم في الحياة، فإن كان هذا التكوين صالحا كانوا صالحين لأمتهم ولأنفسهم، وإن كان ناقصا مختلا زائفا بُنيت حياة الجيل كلّه على فسادٍ وساءت آثاره في الأمة، وكانت الأمية أصلح لها منه وأسلم عاقبة".[2]

ولم يكتف بالتعليم الابتدائي لأنه في نظره غير كاف، يقول: "التعليم الابتدائي وحده لا يكفي هما ولا يشفي ألما، وإنما هو مفتاح للعلم وارتفاع عن الأمية، وإن وراءه لدرجات إن لم يؤد إليها كان عقيما وكان عاطلا، وإن للوقوف عنده والقناعة به لآفات، منها زهد الجيل في العلم وفتور همه فيه، وفساد تصوّره له".[3]

ولذلك سعى الإبراهيمي إلى إكمال التعليم الابتدائي بتعليم ثانوي، فكان معهد عبد الحميد بن باديس في قسنطينة أول معهد ثانوي يبنيه بجهوده وبمعونة الشعب الجزائري له، ليُتمّ فيه أبناء الشعب تعليمهم ويزيدوا منه من معارفهم، ويكتسبوا فيه العلوم المتنوعة، وذلك بعدما ذاقوا حلاوة العلم وطالبوه بالمزيد منه.

تعليم البنت الجزائرية:

لم يقتصر التعليم عند الإبراهيمي على الذكور فقط بل تعداهم إلى تعليم البنات الذي كان في عهد الاحتلال يعتبر من إحدى الكبر، فقد جادل الإمام الإبراهيمي جدالا كبيرا عن حق البنت الجزائرية في التعليم، بل عن واجبه عليها، إذ الإسلام يجعل العلم فريضة على المسلم ذكرا أو أنثى، ونتيجة لدفاعه عنها وصل عدد الإناث في مدارس

(1) علي زيكي، فلسفة التعليم عند الشيخ البشير الإبراهيمي ، الثقافة ، العدد 87 ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، وحدة الطبع المتعددة ، ورشة أحمد زبانة ، الجزائر، 1985 ، ص 332.

(2) أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ، ج2 ، المرجع السابق ، ص 109.

(3) أحمد طالب الإبراهيمي، ج3 ، ص 255.

الجمعية إلى "5696 بنت سنة 1951م، ليقفز إلى ثلاثة عشر ألف بنت سنة 1953م، وهو عدد ضخم نظرا لظروف ذلك العهد الاجتماعية والنفسية والمادية".[1]

وقد كان الإمام يخطط لإنشاء دار للمعلمات ومعهد للبنات على غرار معهد ابن باديس للذكور، وجامعة عربية إسلامية تجمع بين الروح الإسلامية الشرقية والعلوم الحديثة النافعة، ورغم قسوة الاستعمار الفرنسي ورفضه لفكرة تعليم البنت الجزائرية إلا أن الإبراهيمي سلّ قلمه البتّار على أولئك الرّهط الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون، والذين منعوا الفتاة الجزائرية أن تتلقى العلم النافع وتتربى التربية الصالحة وتتخلق بالخلق القويم، لأنه كان متشائما بتعليمها خوفا من النتائج الحسنة التي يخرج بها هذا التعليم في نهاية المسار، وخوفا من "تكوين بنت صالحة، تصبح في الغد زوجة صالحة، وبعد الغد أمّا صالحة، وهاله أن تُعمر البيوت بالصالحات فيلدن جيلا صالحا العقائد، متين الإيمان، قويم الأخلاق، طموحا إلى الحياة، فتطول به غصته، ثم تنتهي به قصته".[2]

ولا ننسى أن التعليم العربي في عهد الاستعمار كان يعاني من ويلات عديدة سببها المحتل الذي كان يسعى إلى تحطيم هذا التعليم بغلقه للمدارس ومعاقبة المعلمين والتنكيل بهم وزجهم في السجون وفرض عقوبات مالية وبدنية عليهم من سجن وتغريب ذاقوا منه المرّ والألم، وكل هذا ناتج عن القرارات الإدارية التي لجأت إليها الإدارة الجزائرية آنذاك، ورغم قبول جمعية العلماء بمراقبة مدارسها من طرف مفتشي المعارف الرسميين إلا أنها لم تر في تلك السنين الطويلة مفتشا واحدا زار مدرسة من مدارسها، وما كانت ترى إلا عون البوليس يزورها لتبليغ الأمر بالإغلاق أو العون الشرعي يزورها لتبليغ الاستدعاء للمحاكمة.

وقد باشر الإبراهيمي بمعونة أعضاء جمعية العلماء للدفاع عن قضية التعليم العربي، وذلك بتسطير بعض المطالب التي من شأنها استرجاع السير الطبيعي للتعليم على ما كان عليه من قبل، ومن هذه المطالب:[3]

1- إلغاء جميع القرارات السابقة المتعلقة بالتعليم إلغاءً صريحا سواء كانت إدارية أو وزارية.

(1) أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ، ج2 ، المرجع السابق ، ص 21.

(2) بتصرف: المرجع نفسه ، ص 22.

(3) المرجع نفسه ، ص ص 143-144.

2- نسخ جميع تلك القرارات بقانون صريح يقرر حرية التعليم العربي، وعدم تقييده بشيء، ويلاحظ في وضع ذلك القانون المسائل الآتية:

- جمعية العلماء أو الجمعيات العلمية الأخرى يكون لها الحق بمقتضى ذلك القانون أن تنشئ ما تشاء من المدارس فيما تشاء من البلدان.

- ليس على تلك الجمعيات إلا إعلام الإدارة باسم المدرسة ومحلها و بأسماء المعلمين فيها، ثم تشرع في العمل بلا توقف على إجراءات أخرى.

- يتضمن القانون ضمانات كافية مقنعة في عدم الالتجاء إلى تعطيل المدارس العربية للأسباب السياسية أو غيرها من الاعتبارات، لأن تعطيل المدارس العربية في نتيجته يُعد عقوبة للأولاد المتعلمين لم يقترفوا أسبابها، وهذا ظلم لهم.

- كما لا تتدخل الإدارة في اختيار المعلمين، ولا تتدخل في وضع البرامج التعليمية ولا في اختيار الكتب المدرسية.

- على جمعية العلماء أو الجمعيات العلمية الأخرى أن تخضع للمراقبة الصحية العامة في دائرة قوانينها ولمراقبة التفتيش الرسمي.

المدارس مراكز التعليم:

كان العلامة الإمام محمد البشير الإبراهيمي ينظر إلى المدرسة نظرة التقدير والاحترام، لما تحمله من قيمة وأثر في بناء الأجيال وتربية النشء على مكارم الأخلاق وحب العلم والتطلع إلى الآفاق، فهي في نظره طريق الحياة وطريق النجاة وطريق السعادة، وهي من تحفظ لسان الأمة من الانحراف وتحفظ دينها من الضياع، تربي الأبناء على الرجولة والقوة وتوحيد النزعات وتصحيح الفطرة وتقويم الألسنة وتمتين الإرادات والعزائم، وتغرس الفضيلة في نفوسهم وتصلح فيهم ما أفسده المنزل والشارع، وتروضهم على حب الوطن وبنائه طبقا عن طبق، يقول: "إن السبيل القويم المؤدي إلى حفظ الجيل الجديد من الشرور المتوارثة...و إلى توحيد أفكاره ومشاربه واتجاهاته، وإلى تصحيح فهمه للحياة وتسديد نظرته إليها، وتشديد عزيمته في طلبها، هو المدرسة العربية...التي تصقل الفكر

والعقل واللسان وتسيطر عليهما، وإن غاية الغايات من المدرسة...ضبط نوازعه المضطربة...ونقله من ذلك المضطرب الفكري الضيق الذي وضعه فيه مجتمعه إلى مضطرب أوسع منه دائرة، وأرحب أفقا، وأصح أساسا، فإذا تم ذلك...طمعنا أن تخرج لنا المدرسة جيلا متلائم الأذواق متحد المشارب، مضبوط النزعات...يعمل لمصلحة الدين والوطن بقوة واحدة وفي اتجاه واحدٍ".[1]

والمدرسة عند الإبراهيمي "هي جنة الدنيا والسجن نارها...والأمة التي لا تبني المدارس تبني لها السجون...والأمة التي لا تكرم شبابها بالعلم والتثقيف، مضيعة لرأس مالها، والأمة التي لا تجعل الأخلاق ملاكها، أمة تتعجل هلاكها".[2]

ونظرا لهذه الأهمية التي أولاها الإبراهيمي للمدارس والقيمة العظيمة التي تحملها في رأيه، والنظر إليها على أنها مركز هام للتعليم وبناء الأجيال، قام ببناء العديد منها بمساعدة أبناء الأمة له الذين استجابوا لنداءاته وتأثروا بخطاباته، فسارعوا في وضع حجر الأساس لبناء النهضة التعليمية في الجزائر، واشتد الإقبال على إنشاء المدارس فأنتجت عدة منها في نواحي القطر المتفرقة، فكان منها: "مدرسة الحديث بتلمسان، ومدرسة تهذيب البنين بتبسة، ومدرسة الحياة بجيجل، ومدرسة شاطودان، ومدرسة ندرومة، ومدرسة سيق، ومدرسة وهران، ومدرسة أبي العباس، ومدرسة تيهرت، ومدرسة الأصنام، ومدرسة الأغواط، ومدرسة بوفريك، ومدرسة سانت أوجين، ومدرسة حي بيلكور في الجزائر، ومدرسة قنزات، ومدرسة سطيف، ومدرسة العلمة، ومدرسة بسكرة، ومدرسة سكيكدة، ومدرسة عنابة، ومدرسة خطاب بالميلية".[3]

واستمر بناء المدارس التي شُيّدت كلها على طراز متقارب الهندسة والمظهر، ليشير ذلك إلى أن بنائها كان على يد جيل منسجم الذوق، موحد اللمحات الذهنية، متقارب النظرات الفنية، "إلى أن بلغ عدد المدارس الابتدائية

(1) علي زيكي، فلسفة التعليم عند الشيخ البشير الإبراهيمي ، الثقافة ، مرجع سبق ذكره ، ص 332.
(2) أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ، ج2 ، مرجع سبق ذكره ، ص 430.
(3) المرجع نفسه ، ص 431.

مائة وخمسا وعشرين مدرسة بإسقاط المعطل منها إداريا، وتشتمل هذه المدارس على أكثر من ثلاثمائة فصل، وبلغ عدد التلاميذ النهاريين:

الملازمين.....16286

الذكور منهم.....10590

والإناث.....5696

وبلغ عدد التلامذة الليليين الذين تشغلهم المكاتب الفرنسية:

بالنهار.....20000

وبلغ عدد المعلمين.....275 معلما، يتقاضون أجورا لا تكاد تكفي لضرورياتهم، تبلغ سبعة وثلاثين مليونا في السنة تقريبا".[1]

معهد عبد الحميد بن باديس:

سبق وأن ذكرنا أن انتقال البشير الإبراهيمي من التعليم الابتدائي إلى التعليم الثانوي، كان بتأسيسه لمعهد ثانوي سمّاه "معهد عبد الحميد بن باديس" تخليدا لذكراه، وإحياءً لاسمه المؤسس للنهضة التعليمية في الجزائر، واعترافا بفضله على الأمة بأكملها، "وكان يجمع المعهد ثلاث كلمات: المكان والإدارة والتعليم، أما المكان فهو دار منسوبة إلى أسرة عريقة في المجد، وهي أسرة ابن الشيخ الفقون التي يعرفها التاريخ بأعلامها في العلم والأدب، وذلك في قسنطينة، ورغم مخاطر ذلك الزمن الذي أُنشأ فيه هذا المعهد على يد العلامة الإبراهيمي نظرا لحالة الأمة المالية وتوالي الأزمات عليها، إلا أن عزيمة الإبراهيمي كانت أقوى من هذه الأزمات، وبعون الله له وعون الأمة، استطاع من شراء هذا المكان وبدأ وإخوانه من أنصار العلم في إصلاحه والتنظيم والاستعداد للتعليم به، حتى فتحت أبوابه بعد شهرين من بداية العمل عليه.

(1) أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ، ج2 ، ص ص 432-433.

أما الإدارة فكانت فيه متناسقة تامة مبنية على أسس متينة قوامها الألفة والانسجام بين المشايخ بعضهم مع بعض، وبينهم وبين مديرهم، حتى كأنهم أبناء أسرة واحدة...ولعل لهذا الانسجام البديع بين مشايخ المعهد أن يكون درسا عمليا نافعا للتلاميذ، وأساسا ثابتا لتربيتهم الأخلاقية، وأعز ميراث يرثونه عن مشايخهم، ولعل الانسجام كذلك بين التلامذة سبب خطير من أسباب النجاح.

وأما التعليم فهو الغرض والغاية من المعهد الذي بني ليهتم بالتربية من أول يوم، وعني بغرس العقائد الصحيحة في أذهان التلاميذ وتعويدهم على العبادات البدنية، حتى ينشئوا مؤمنين عاملين للصالحات، كما أن المعلمين فيه تم اختيارهم على أساس التجربة والمعرفة اليقينية بدرجة التحصيل، لا على اعتبار الشهادات الجامعية بالرغم مالها من أهمية وما عليها من تقدير.

ونتيجة للتنظيم والتسيير واستقلالية المعهد في إدارته ونظامه وماله، والتعاون الموجود بين مشايخه وتلامذته، فقد حقق نجاحا كبيرا من أول سنة له، قوّى ذلك النجاح الرجاء في تحقيق الغاية من المعهد وبسط الأمل وهوّن العسر من الوسائل بما بثّه في النفوس من الاطمئنان، وبما أكّده بينهم وبين الأمة من الثقة، وكان للإبراهيمي كبير الأثر في ذلك النجاح الباهر لما كان يلقيه على المعلمين والمتعلمين من خطابات واعية، تريح النفوس وتقنع العقول، في وقت كان كل واحد منهم يترك أهله في سبيل العلم والتعلم، وفي حالة من الغربة والحنين إلى الديار، وكان العلامة الإمام الإبراهيمي يصبرهم بقوله: "إن التعليم بوطنكم هذا، وفي أمتكم هذه ميدان تضحية وجهاد، لا مسرح راحة ونعيم، فلنكن جنود العلم في هذه السنة الأولى، ولنسكن في هذا المعهد كأبنائنا الطلبة، ولنعش عيشهم: عيش الاغتراب عن الأهل، فانسوا الأهل والعشيرة ولا تزوروهم إلا لماما، أنا أضيقكم درعا بالعيال للبعد وعدم وجود الكافي، ومع ذلك فها أنا فاعل فافعلوا، وها أنا بادئ فاتبعوا"، فكانت كلماته هذه مؤثرة في المشايخ وماسحة لكل ما كان يساورهم من قلق وخوف على الأهل والعشيرة".[1]

(1) بتصرف: أحمد طالب الإبراهيمي ، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ، ج2 ، ص ص 216-217-218-219.

تعلم اللغة العربية والتعليم بها:

كانت للغة العربية مكانة خاصة ومميزة عند الإبراهيمي، فهي تستحق في رأيه كل العناية لأنها لغة القرآن من ناحية ولغة الوطن من ناحية أخرى، وكان لا يستبعد أن تكون اللغة العربية في يوم من الأيام لغة عالمية مثل اللغات الإنجليزية والفرنسية والإسبانية والصينية وغيرها، وقد تحقق ذلك فعلا عندما قررت منظمة اليونسكو استعمال اللغة العربية كلغة عالمية.

ومن أهم أعمال الإبراهيمي ومن أعظم إسهاماته في التعليم الجزائري، هو دفاعه عن اللغة العربية أينما أتيحت له الفرصة، والحرص على جعلها لغة التعليم في المدارس والمعاهد والجامعات وجميع مراكز التعليم؛ أي جعلها اللغة الرسمية لأنها لغة العلم والحضارة ولغة الجزائر العربية المسلمة.

1- اللغة العربية لغة العلم والحضارة:

لقد كان الباب الواسع الذي ولج منه الإبراهيمي إلى عالم العربية الفسيح هو القرآن الكريم، وقد أوجز هذا الترابط العضوي بينهما قائلا: "القرآن لا يفسره إلا لسانان، لسان العرب ولسان الزمان"[1]، فالقرآن الكريم منهاج رباني شامل كامل لسعادة الإنسان في كل زمان ومكان، ولا بد للأداة المتكفلة بحمل هذا المضمون الرباني الخالد أن تكون مؤهلة لاحتواء كل جديد فيه، باعتبارها حاملة لرسالة الإسلام الحضارية العالمية، ويؤكد أنها لغة العلم والحضارة من فلسفته العميقة في التعريب قائلا: "...قامت اللغة العربية في أقل من نصف قرن، بترجمة علوم هذه الأمم، ونظمها الاجتماعية وآدابها، فوعت الفلسفة بجميع فروعها، والرياضيات بجميع أصنافها، والطب والهندسة والآداب والاجتماع، وهذه هي العلوم التي تقوم عليها الحضارة العقلية في الأمم الحاضرة والغابرة، وهذا هو التراث العقلي المشاع الذي ما يزال يأخذه الأخير عن الأول، وهذا هو الجزء الضروري في الحياة، الذي إما أن تنقله إليك

(1) عبد الرحمان شيبان، الإمام الشيخ محمد البشير الإبراهيمي واللغة العربية ، الثقافة ، مرجع سبق ذكره ، ص 77.

فيكون قوة فيك، أو أن تنتقل إليه في لغة غيرك فتكون قوة في غيرك، وقد تفطّن أسلافنا إلى هذه الدقيقة فنقلوا العلم ولم ينتقلوا إليه".[1]

2- اللغة العربية لغة الجزائر العربية المسلمة:

من المعروف أن الاستعمار حارب اللغة العربية محاربة شديدة معتمدا في ذلك أساليب كثيرة متنوعة، كان أخطرها محاولة التشكيك في أصالتها بالجزائر بدعوى وجود لهجات مختلفة كثيرة تدل على أن لغة الضاد غريبة على الديار، وقد عالج الإبراهيمي هذه المسألة الخطيرة من الأساس، وفند هذه المزاعم الخبيثة قائلا في أحد مقالاته التي نشرت في جريدة البصائر سنة 1948م : "اللغة العربية في القطر الجزائري ليست غريبة ولا دخيلة ، بل هي في دارها وبين حماتها وأنصارها، وهي ممتدة الجذور مع الماضي، مشيدة الأواخي مع الحاضر، طويلة الأفنان في المستقبل، ممتدة مع الماضي لأنها دخلت هذا الوطن مع الإسلام على ألسنة الفاتحين، ترحل برحيلهم وتقيم بإقامتهم، فلما أقام الإسلام بهذا الشمال الإفريقي إقامة الأبد وضرب بجرانه فيه، أقامت معه العربية لا تريم ولا تبرح ما دام الإسلام مقيما لا يتزحزح، ومن ذلك الحين بدأت تتغلغل في النفوس، وتنساغ في الألسنة واللهوات، وتنساب بين الشفاه والأفواه، يزيدها طيبا وعذوبة أن القرآن بها يتلى، وأن الصلوات بها تبدأ وتختم، فما مضى عليها جيل أو جيلان حتى اتسعت دائرتها، وخالطت الحواس والشواعر وجاوزت الإبانة عن الدين إلى الإبانة عن الدنيا، فأصبحت لغة دين ودنيا معا".[2]

ولهذا نجد أن الإبراهيمي إلى جانب نضاله في إبراز مقومات الشخصية العربية للجزائر، خاض معركة إثبات الحرف العربي بكل الوسائل وبمختلف الأساليب، سواء عن طريق نشر المدارس أو عن طريق تحريض الشباب على الهجرة لطلب العلم، فحرص على أن تكون لغة القرآن ولغة العلم والحضارة ولغة الجزائر العربية المسلمة، لغة تُدرس في جميع المراحل من المرحلة الابتدائية إلى المرحلتين الثانوية والعليا، لغة يتم تعلمها والتعليم بها في آن واحد، وقد

(1) عبد الرحمان شيبان، الإمام الشيخ محمد البشير الإبراهيمي واللغة العربية ، الثقافة ، المرجع السابق ، ص ص -78-79.

(2) محمد البشير الإبراهيمي، اللغة العربية في الجزائر عقيلة حرة ليست لها ضرة ، البصائر(1947-1948) ، العدد41 ، مرجع سبق ذكره ، ص 317.

جعلت جمعية العلماء التي كان يترأسها الإبراهيمي في الأربعينيات، مغالبة كل الصعاب لنشر التعليم بكل الوجوه من أولى اهتماماتها ومشاغلها، وكانت تعتبر أن "أشرف أعمالها تعليم العربية، والمطالبة في غير ملل بحرية التعليم العربي الذي هو أساس التعليم الديني".[1]

كما كانت الجمعية تعتبر أن تعليم العربية يوجبه حقان أكيدان على الأمة الجزائرية، حق العروبة وحق الإسلام، "فاللغة العربية هي لغة الإسلام الرسمية، ومن ثم فهي لغة المسلمين الدينية الرسمية، ولهذه اللغة على الأمة الجزائرية حقان أكيدان، كل منهما يقتضي وجوب تعلمها، فكيف إذا اجتمعا، حق من حيث أنها لغة دين بحكم أن الأمة مسلمة، وحق أنها لغة جنسها بحكم أن الأمة عربية الجنس، ففي المحافظة عليها محافظة على جنسية ودين معا، ومن هنا نشأ ما نراه من حرص متأصل في هذه الأمة على تعليم لغتها، وما نشهده من مطالبة اجتماعية بحريّة تعلمها".[2]

نجاح التعليم عند البشير الإبراهيمي:

إذا ذكرنا التعليم عند الإبراهيمي فإنما نريد به معناه الكامل؛ أي المستوعب للشروط التالية:[3]

1- كفاءة المعلم من حيث التحصيل و الأسلوب.

2- إخلاصه بأن يقصد بعمله وجه الله تعالى.

3- حسن أخلاقه، بأن لا يتصف بما ينافي الشرع.

4- ذكاء التلميذ مع رغبته في التعليم.

5- المحل اللائق للتدريس.

6- الاستراحة من العمل.

7- تناول ما به الحاجة من الفنون العلمية.

(1) محي الدين صابر، محمد البشير الإبراهيمي والدعوة القومية ، الثقافة ، مرجع سبق ذكره ، ص 118.

(2) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

(3) بتصرف: أبو حميدة إبراهيم ، التعليم العربي ، البصائر(1949-1950) ، العدد112 ، مرجع سبق ذكره ، ص ص 189-190.

8- تحسين حالة المعلم من جهة المعاش.

فكفاءة المعلم أمر ضروري لبقية الشروط، لأن الموجِه إذا كان يجهل التوجيه، فالموجَه يكون على خلاف ما ينتظر منه ويرتجي، فتكون نتيجته الجمود أو التهور، ويصبح ثقيلا على الأمة لا يرجى منه نفع ولا خير.

ولم تكن الكفاءة وحدها لتبلغ بالأستاذ إلى الغاية المنشودة، بل لا بد من الإخلاص في العمل، فهو الذي يكسبه الرونق والكمال ويجعل له عند الله من الثواب والأجر ما لا يحتسب.

أما من جهة الأخلاق، فيجب على المعلم أن يتصف بالأوصاف الحميدة والسجايا المجيدة، وإن كان لا يتفطن لهذا فليعلم أنه قدوة ونموذج لتلاميذه، ولا بد لهذه الأخلاق أن تكون ظاهرة مطابقة لكافة أقواله.

وذكاء التلميذ نعم الدافع له إلى موارد العلم الصافية ومناهله الحلوة، بل هو الجانب القوي لجميع ما تلقاه عن أستاذه، فلا تمر عليه كلمة إلا وعاها ولا عبارة إلا حفظها ورعاها، فالرغبة تدفع إلى المزيد من التألق في العلم وتزيد من الثقة في النفس بغية الوصول إلى الأهداف المرجوة من التعليم.

وهذا الذكاء من المطلوب أن يصرف إلى حدائق العلوم والآداب ليصل بالتلميذ إلى الهدف، حتى إذا كبر توفرت فيه أوصاف الرجولة من عزم وحزم وشجاعة وشهامة وكرم وحلم، فيعيد للأمة عزها ويرفع إلى السماء الأعزل مجدها، وذلك بأن تكون له أو تكون فيه رغبة التعلم والميول إليه دون سواه، ليجبل عليها وتصير فيه ملكة وغريزة.

وقد قرر الأطباء أن التعليم يلزم أن يكون في غرف متسعة عالية، لا ينقصها الهواء النقي وشعاع الشمس كيلا يمرض التلاميذ بأنفاس بعضهم لما فيها من الجراثيم المضرة، أو يصيبهم الملل والفشل فيملّون الدرس ولا يصغون إليه.

ولسلامة المعلم والمتعلم لا بد من أخد استراحة من العمل، من أجل ذلك شرع التعطيل عن التعليم، فكان يومين في الأسبوع وثلاثة أشهر كل سنة صيفا.

أما الفنون التي يجب أن تدرس فهناك علم الدين، فهو سيد الفنون الذي يتوصل به المرء إلى الفوز في الدارين، بما يمليه عليه من الأخلاق الراقية الفاضلة، وفنون أخرى كالتاريخ والجغرافيا والحساب وخصائص الأشياء، تؤهله لبناء صرح حياته والسير على سنن آبائه وأجداده، لئلا يدع تراثهم قنصا للصائدين، وبغية للطامعين، فيحيا مع إخوانه في عيش رغيد، أحرارا لا عبيدا.

وتعديل حالة المعلم لمن أسبق الواجبات، إذ عليها تستند أعماله كلها، لأنه أحرى بالوقوف في الصف الأول والمقام الأسمى، وقد نوّه سبحانه وتعالى بقدر الذين أوتوا العلم، كما أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بإعطاء الأجير حقه قبل أن يجف عرقه.

المطلب الثاني: مقومات العملية التعليمية عند البشير الإبراهيمي

من الواضح أن العلامة محمد البشير الإبراهيمي عندما أعطى تلك الأولوية والأهمية العظيمة للتعليم، قد اهتم كذلك بأركانه ومقومات العملية التعليمية التربوية التي يستحيل بدونها التعليم، ففي قوله عندما طلب منه عبد الحميد بن باديس أن يضع برنامجا جامعا لدروس الكلية وكتبها ومناهج التربية وطرائق التعليم فيها، يقول: "ففعلت، وجاء البرنامج حافلا بالتدقيقات الفنية في التربية والاعتبارات العملية في التعليم والكتب القيمة للدراسة، ومعه تخطيط للكلية ومرافقها"[1]، يتبين أن الإبراهيمي أولى عناية كبيرة للعملية التعليمية، وهيأ لها من مستلزماتها الضرورية من البرامج والكتب والطرائق المتنوعة، ومنه فقد اهتم الإبراهيمي بأركان التعليم وهي: المعلم والمتعلم والمادة التعليمية.

1- المعلم/الأستاذ:

يعد المعلم مفتاح العملية التعليمية والرائد الذي يعتمد عليه المجتمع في تنشئة أبنائه تنشئة قوية تستجيب لمتطلبات الأمة، وعليه تقع مسؤولية تحقيق أهداف التعليم وتحويلها إلى واقع ملموس، كما يعد من أهم العوامل التي تقرر نوع المواطن الذي يعد اللبنة الأساسية في كيان المجتمع.

(1) أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ، ج2 ، مرجع سبق ذكره ، ص 196.

ونقول أيضا أنه عمدة التعليم "والمثل الأعلى للتلميذ من الصبا إلى المراهقة، بل إلى الشباب والكهولة، وهو ناشر العلم بين الناس بلسانه وكتابه وآرائه وسلوكه، ثم أنه هو موجه التعليم إن خيرا فخير، وإن شرا فشرّ".[1]

والمعلم هو الملقن والمفهم والمثقف والمهذب، ولا يكون كذلك إلا إذا كان له من العلوم والمعارف ما يكون بها ملقّنا ومفهّما، ومن الأخلاق والفضائل ما يكون بها مثقفا ومهذبا، "ورسالة المعلم هي أمانة خاصة في ذمته كُلّف بتبليغها على الوجه الأتم إلى أمته، هي رسالة تهذيبية تثقيفية، تعتمد على صحة المعلومات وقوة الروح ومتانة الأخلاق وحصانة العقيدة والاستعداد للتضحية بالنفس والنفيس في سبيل الله وفي سبيل الأمة، وتهدف إلى خدمة الأمة بالعلوم والمعارف، وإعدادها للحياة الحقة بجميع وسائل الثقافة والتهذيب، وإنشاء جيل صالح من أبنائها وبناتها مزود بالعلوم الصحيحة والعقول الراجحة والأفكار الناصحة والأخلاق الفاضلة، يكون وسيلتها للحياة وعدّتها للمستقبل وسلّمها للحضارة والتمدن".[2]

يقول عنه "أحمد سحنون" في بعض الأبيات مذكرا بقيمته وأهميته وناصحا له:[3]

هات من نشء الحمى خير عتاد وادّخرهم لغد جند جهـــاد

هات نشئا صالحا يبني العلا ويفك الضاد من أسر الأعادي

هاته جندا قويا باســـلا إن دجى خطب يكن أول فاد

حُطه بالإسلام من كل أذى واحمه بالخلق من كل فساد

اهده بالعلم فالعلم سنى ومن القرآن زوّده بـــزاد

....

إنّ في يمناك شعبا كاملا يتنزّى بين ظلم واضطهاد

....

(1) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج1 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ط2 ، 1985 ، ص 324.
(2) الجيلاني بن محمد الفارسي، رسالة المعلم ، البصائر(1949-1950) ، العدد93 ، مرجع سبق ذكره ، ص 24.
(3) أحمد سحنون، إلى المعلم ، البصائر(1947-1948)، العدد7 ، ص 58.

يا مربـي النشء يا باني النهـى يا محـل الحـب من كل فـؤاد

قـد إلى العليـا أشبـال الحــمى وإلـى تحريـرهم كن خير حاد

ومنه فقد وجه الإبراهيمي اهتمامه للمعلمين ووحّد لهم الأساليب التي تجعلهم مستوعبين المهام المنوطة بهم، قادرين على أدائها، عارفين لواجباتهم في مجال التعامل مع المتعلمين، والمعلمين في نظر الإبراهيمي هم "الطائفة المجاهدة في سبيل تعليم أبناء الأمة لغتهم، وتربيتهم على عقائد وقواعد دينهم، وطبعهم على قالب من آدابه وأخلاقه".[1]

يخاطبهم فيقول: "ها أنتم هؤلاء تبوأتم من مدارسكم ميادين جهاد، فاحرصوا على أن يكون كل واحد منكم بطل ميدان، وها أنتم هؤلاء خلفتم مرابطة الثغور من سلفكم الذين حموا الدين والدنيا، ووقفوا أنفسهم لإحدى خطتين: الدفاع المجيد أو موت الشهيد"[2]، وبما أن المعلمين هم حجر الزاوية في العملية التعليمية وهم المسؤولون عن صناعة النشء وإعدادهم للحياة، فقد عدّهم الإبراهيمي طرفا مهما في هذه العملية، لأن صلاح المنظومة التربوية وفسادها مرتبطان بهم أشد ارتباط، لهذا جعل أعمالهم النبيلة جهادا لا يختلف عن جهاد المجاهدين في الجبال، وقد جعلهم مسؤولون عن أعمالهم، يقول: "واعلموا أنكم عاملون فمسؤولون عن أعمالكم، فمجزيون عنها من الله ومن الأمة ومن التاريخ ومن الجيل الذي تقومون على تربيته كيلا بكيل، و وزنا بوزن".[3]

ونشعر بقيمة المعلم ومكانته وشرف مهنته في قول الإبراهيمي: "أما والله لو استطعت لأعطيت المعلم جمّا، ثم لأوسعت العطاء ذمّا، حتى تقوى فيه نزعة الكرامة وشرف العلم، والشعور بأن العلم كالعبادة، وكفاؤه الأجر من الله لا الأجرة من المخلوق".[4]

كما يحثهم على أداء واجباتهم التعليمية التي كلفوا على أكمل وجه، وقد عدّ التقصير في الواجب جريمة، يقول في هذا الشأن: "إن التقصير في الواجب يعد جريمة من جميع الناس، ولكنه في حقنا يضاعف مرتين، فيعد

(1) أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ،ج3 ، مرجع سبق ذكره ، ص 277.

(2) محمد البشير الإبراهيمي، إلى أبنائنا المعلمين، البصائر(1949-1950) ، العدد 94 ، مرجع سبق ذكره ، ص 39.

(3) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(4) أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ، ج3 ، ص 279.

جريمتين... وقد نهى ديننا الإسلام عن التقصير في الواجبات ونهى عن التفريط في الحقوق، وبين آثاره وعواقبه، وحض على الأعمال في مواقيتها، وقبح الكسل والتواكل والإضاعة"[1]، فيذكرهم بهذا القول بواجباتهم مدعما رأيه من القرآن الكريم الذي ينهى عن التفريط في الحقوق والتقصير والتكاسل في أدائها، وقد شبههم بعروش الممالك قائلا لهم: "ها أنتم هؤلاء تربعتم من مدارسكم عروش ممالك، رعاياها أبناء الأمة وأفلاذ أكبادها، تديرون نفوسهم على الدين وحقائقه وألسنتهم على اللسان العربي ودقائقه، وتسكبون في آذانهم نغمات العربية، وفي أذهانهم سر العربية...و تقودونهم بزمام التربية إلى مواقع العبر من تاريخهم، ومواطن القدوة الصالحة من سلفهم، ومنابت العز والمجد من مآثر أجدادهم الأولين"[2]، فللمعلمين حسب قول الإبراهيمي واجبات نحو المتعلمين متمثلة في تعليمهم أسرار العربية والأخلاق الفاضلة وتعليمهم كيفية الاقتداء بأمجادهم العلماء الأولين، داعيا إياهم أن يحرصوا كل الحرص على أن تكون التربية قبل التعليم.

وللمعلم عند الإبراهيمي شروط ومميزات ومهارات تتعلق بشخصيته وتؤهله للتدريس وله واجبات ومهام لا بد أن يتقيد بها في مهنته، أما شروط ومميزات ومهارات المعلم الكفء التي ذكرها الإبراهيمي وحث على الاقتداء بها وتطبيقها نوجزها في النقاط التالية:

1- التحلي بالأخلاق الفاضلة، يقول: "لا يضيركم ضعف حظكم من العلم إذا وفر حظكم من الاخلاق الفاضلة، فإن امتكم في حاجة إلى الأخلاق والفضائل، إن حاجتها إلى افضائل أشد و أوكد من حاجتها إلى العلم"[3]

2- الاستزادة من العلم وتنمية المعرفة، يقول: "إن كثيرا منكم في حاجة إلى الاستزادة من التحصيل لو تيسرت لهم أسبابه، وإن التعليم لإحدى طرق العلم للمعلم قبل المتعلم، إذا عرف كيف يصرف مواهبه وكيف يستزيد وكيف

(1) محمد البشير الإبراهيمي، إلى أبنائنا المعلمين، البصائر(1949-1950) ، المرجع السابق ، ص 39.

(2) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(3) أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ، ج3 ، ص 268.

يستفيد، وكيف ينفذ من قضية من العلم إلى قضيته، وكيف يخرج من باب منه إلى باب، فاعرفوا كيف تدخلون من باب التعليم إلى العلم، ومن مدخل القراءة إلى الفهم، وتوسعوا في المطالعة يتسع الاطلاع".[1]

3- الكفاءة في التدريس، يقول: "فالجمعية تشترط في المعلم كفاءته العلمية والأخلاقية".[2]

4- أن تكون أقوالهم مطابقة لأفعالهم، يقول: "ثم احرصوا على أن يكون ما تلقونه لتلامذتكم من الأقوال منطبقا على ما يرونه ويشهدونه منكم من الأعمال، فإن الناشئ الصغير مرهف الحس، طُلعة إلى مثل هذه الدقائق التي تغفلون عنها...وإنه قوي الإدراك للمعايب والكمالات...واعلموا أن كل نقش تنقشونه في نفوس تلامذتكم من غير أن يكون منقوشا في نفوسكم فهو زائل، وأن كل صبغ تنفضونه على أرواحكم من قبل أن يكون متغلغلا في أرواحكم فهو لا محالة، ناصل حائل".[3]

5- حسن اختيار الكلمات أثناء التعليم، يقول: "فاحذروا الظهور بمظهر المستخف بالدين ولو في فلتات اللسان، فإن لكل فلتة ولكل كلمة تصدر منكم أثرا في نفوس تلاميذكم، لأنكم محل القدوة عندهم".[4]

6- الصبر على الشدائد وتقوى الله، لأنها مبعث القوة والطمأنينة والعون في الملمات، فهي الجامعة بين الناس والمثبتة للأقدام، يقول: "أوصيكم بتقوى الله، فهي العدّة في الشدائد والعون في الملمات، وهي مهبط الروح والطمأنينة، وهي منزل الصبر والسكينة، وهي مبعث القوة واليقين".[5]

7- اجتناب الغيبة والنميمة، وحسن العشرة وخفض الجناح للناس أجمعين، مع الإيمان العميق بشرف العلم ومهنة التعليم.

(1) أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ، ج3 ، ص 268.
(2) المرجع نفسه ، ص 222.
(3) المرجع نفسه ، ص 264.
(4) المرجع نفسه ، ص 271.
(5) المرجع نفسه ، ص 265.

8- "عدم الاعتماد في تربية النشء وتعليمهم على ما جاءت به الكتب والبرامج، فما هي إلا معين يرشد إلى الغاية، وإنما الحرص على تثبيت الأخلاق الطاهرة في نفوسهم، والقوة والعزم في أرواحهم، والفصاحة والإبانة في ألسنتهم".[1]

9- أن يكونوا القدوة الصالحة والمثال الحسن للتلاميذ في الأعمال والأحوال والأقوال.

10- "الاعتناء بالهندام والمظهر الخارجي، لأنه يعكس شخصية المعلم، مع الحفاظ على جو النظافة في القسم والمدرسة، وحث التلاميذ على نظافة البدن والثياب".[2]

هذا فيما يتعلق بشروط المعلمين الذاتية و مميزاتهم ومهاراتهم الشخصية التي ينبغي أن تتوفر لديهم حتى يحق لهم التدريس، أما شروطهم اتجاه المتعلمين و واجباتهم نحوهم، فهي حسب ما ذكره الإبراهيمي:[3]

1- تربيتهم على الرجولة والشجاعة، والصبر والإنصاف والأمانة وحب الدين والعلم والوطن والوالدين والمعلم مع حبهم لبعضهم البعض.

2- معالجة الغرائز الناقصة والطباع الفاسدة فيهم بالتربية الحكيمة والإصلاح والتقويم وتقوية الإرادة والعزيمة وتنمية الحقائق في أذهانهم.

3- تربيتهم على الفضائل وضرورة تقديمها على العلم، كحب الخير والتعاون والتآخي وتعويذهم على ممارسة الشعائر الدينية وهم صغار السن لتترسخ في نفوسهم عند الكبر.

4- إنقاذهم من الأمية وتحبيبهم العربية.

5- تربيتهم على ما ينفعهم وينفع الوطن كله.

(1) بتصرف: أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ، ج2 ، ص 111.

(2) بتصرف: إسماعيل العربي، مذكرة توجيهية في التربية ، البصائر(1949-1950) ، العدد93 ، مرجع سبق ذكره ، ص 38.

(3) بتصرف: أحمد طالب الإبراهيمي، ج2 ، ص ص 112-113-114-115.

6- اتخاذ أسلوب الترغيب بدل أسلوب الترهيب في سياسة الأطفال، لأن الأول إيجابي وأثره باق، والثاني سلبي وأثره موقوت، فالأطفال يحبون من يتحبب لهم ويميلون إلى من يحسن إليهم، فالترغيب يحببهم في المدرسة والقراءة والعلم، أما الترهيب فيفسدهم ويغرس فيهم الكذب والنفاق والجبن والخوف، ويبغض إليهم القراءة والعلم.

7- دراسة ميول الأطفال ونفسياتهم، ويكون المعلم كأخ كبير لهم يفيض عليهم عطفه، ويوزع عليهم بشاشته ويزرع بينهم نصائحه.

8- "تربيتهم على حسن استخدام مواهبهم الفطرية من عقل وفكر وذهن وتعليمهم صحة الإدراك ودقة الملاحظة والوقوف عند حدود الواقع".[1]

9- عدم المبالغة في مدح المجتهدين، لأنه حتى وإن كان المدح مُذك للنشاط فإنه في الوقت ذاته يدعو إلى الغرور، والغرور لا يزول، أما النشاط فيعود.

10- تربيتهم على بناء الأمور على أسبابها والنتائج على مقدماتها علما وعملا.

11- توضيح الحقائق لهم وتربيتهم على ملكة التعليل لتتضح لهم العلل والأسباب.

12- تربيتهم على العيش بروح الإسلام وآدابه وتاريخه، والإقتداء برجاله، وتعليمهم قواعد الحياة: "إن لم تكن آكلا كنت مأكولا" و "كن قويا تُحترم".[2]

13- "مزج العلم بالحياة والحياة بالعلم، وعدم الإكثار من القواعد لأن العكوف عليها يصيّر التلاميذ كالقواعد كما صيّر العلماء من قبل".[3]

و يضيف إسماعيل العربي في مقالته بعنوان "مذكرة توجيهية في التربية" التي نشرت في جريدة البصائر، بعض شروط و واجبات المعلم نحو المتعلم منها:[4]

(1) بتصرف: أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ، ج3 ، ص 272.
(2) بتصرف: المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.
(3) بتصرف: أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ، ج3 ، ص 272.
(4) بتصرف: إسماعيل العربي، مذكرة توجيهية في التربية، البصائر(1949-1950) ، العدد93 ، مرجع سبق ذكره ، ص 38.

– ينبغي للمعلم ألا يغفل عن مراقبة التلاميذ، ويسجل ملاحظاته في تقديم الطفل أو تقهقره، وأن يبحث عن أسباب ذلك في سوء التغذية أو في ظروف الحياة المنزلية أو في المرض.

– تجنب ضرب التلاميذ أو إيذائهم بالأقوال، وعدم الإكثار من لومه أو زجره، وإعطائه وقتا من الراحة في حال التعب.

– إعطاء الحرية للتلميذ في التحرك داخل المدرسة واستبعاد الملل أثناء الدرس، وإضفاء نوع من التسلية على مواضيع الدروس.

– ترغيب التلاميذ في المطالعة وممارسة الرياضة البدنية، وتعزيز حب الاستطلاع فيهم.

يتضح لنا أن البشير الإبراهيمي لم يضع هذه الشروط اعتباطيا، بل وضعها عن تجربة، لأنه كان مربيا نزيها حكيما، ملّما بمهنة التعليم، "فمن الصفات البارزة التي يعرفها العاملون والعاملات في ميدان التربية والتعليم والوعظ والإرشاد عن إمامهم وقائدهم الإبراهيمي، أنه كان يحنو ويعطف عليهم عطف الأب على أبنائه، ويبذل أقصى ما في وسعه لإرشادهم وتوجيههم إلى أحسن السبل لأداء مهمتهم على الوجه الأكمل، مع حرصه الشديد على حل مشكلاتهم المادية والأدبية مع الجمعيات المحلية القائمة بشؤون المدارس والمساجد والنوادي، والدفاع عن كرامتهم وحقوقهم أمام السّلط الاستعمارية الباغية".[1]

كما اهتم الإبراهيمي بالجانب المادي للمعلمين، يقول: "يجب توفير أرزاق المعلمين حتى لا تطمح نفوسهم إلى... هجر التعليم"[2]، فهو يرى أن إشباع المعلمين بالجانب المادي يؤدي إلى تقوية الكرامة وشرف العلم والاعتزاز بالمهنة، لأن فقرهم ينعكس بالسلب على التعليم، يقول: "فإذا حصل ذلك جاء التعليم وفيه أثر الجوع والهزال، وعليه سيما الفقر والخصاصة، ويأتي هذا الجيل وعلى عقله من هذه الآثار ما على أجسام مواليد الحرب التي نشأت في فقر من المواد المغذية".[3]

(1) أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ، ج2 ، مرجع سبق ذكره ، ص 11.
(2) أحمد طالب الإبراهيمي ، ج3 ، ص 279.
(3) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

كما ويدعو إلى حسن المعاملة بين المسؤولين، ولاسيما علاقة المعلمين بالمتعلمين فيجب أن يمتلك المعلم قدرات خاصة يستطيع بها أن يكوّن علاقة حيوية بينه وبين المتعلم، ولإعداد المعلم الجيد لا بد من مراعاة أخلاقه بالدرجة الأولى ثم لغته وثقافته حتى يُضمن نجاح العملية التربوية التعليمية.

2- المتعلم/الطالب:

إذا كان المعلم هو الجسر الذي تعبر من خلاله المعلومات، فإن المتعلمين هم الوعاء الذي تصب فيه تلك المعلومات، ويعد المتعلم الركن الثاني من أركان التعليم ومقوم هام من مقومات العملية التعليمية، لأن التعليم لا يحدث إلا بوجوده، ولقد اهتم العلامة "محمد البشير الإبراهيمي" بالمتعلمين قدر اهتمامه بالمعلمين، فعدّهم أمل الأمة ورجاؤها الوحيد، ومناط آمالها، ومستودع أمانيها، وكان يخشى من فسادهم، يقول: "ونخشى أكثر منه على هذه الطائفة المقبلة على العلم المنكبّة على تحصيله...هذه الطلائع التي هي آمال الأمة ومناط رجائها، والتي لا تحقق رجاء الأمة إلا إذا انقطعت إلى العلم وتخصصت في فروعه، ثم زحفت إلى ميادين العمل مستكملة الأدوات، تامة التسلح، تتولى القيادة بإرشاد العلم وتحسن الإدارة بنظام العلم، فتثأر لأمتها من الجهل بالمعرفة، ومن الفقر بالغنى، ومن الضعف بالقوة، ومن العبودية بالتحرير".[1]

كما كان الإبراهيمي يفتخر بهم أشد الافتخار، ويقوّي من عزيمتهم ويحفّز من إرادتهم في طلب العلم وتحصيله من مختلف الأماكن والأقطار متنقلين في أرض الله الواسعة مهاجرين في سبيل العلم، وهو يعلم من وراء ذلك أنهم يتقطعون شوقا لأهاليهم الذين فارقوهم وفارقوا ديارهم و وطنهم، فيصبّرهم بخطاباته المؤثرة والواعية، مذكّرا إياهم أنهم الرجاء الوحيد الذي ينتظره الشعب لينير دروبه ويحرره من عبودية الاستعمار الغاشم، "مقارنا بينهم وبين أسلافهم القدامى الذين كانوا يقطعون البراري والصحاري والقفار، من أجل تحصيل العلم، وكانوا ينقطعون عن ديارهم لسنوات طويلة عكس ما هم عليه طلبة اليوم، إذ يزورون ديارهم في كل موسم، وقد أراحتهم المطابع عن

(1) محمد البشير الإبراهيمي، جمعية العلماء أعمالها ومواقفها ، البصائر(1947-1948) ، العدد4 ، مرجع سبق ذكره ، ص 30.

الكتابة فيما كان أسلافهم يكتبون الحروف حرفا حرفا، كلمة كلمة"[1]، وكان يطمح من خلال هذه المقارنة أن تنفع هؤلاء الطلبة فيهتدوا بأسلافهم الذين كانوا يعودون محملين بزاد علمي ومعرفي واسع، فيعودوا مثلهم ليساهموا من خلال هذه المعرفة المحصلة في تطوير بلادهم.

وكان الإبراهيمي يبين للمتعلمين من أبناء الوطن المجاهدين في سبيل العلم أن الحياة قسمان، حياة علمية وحياة عملية، لا تبنى الثانية إلا إذا بنيت الأولى، وشروط نجاح الثانية مرهونة بنجاح الأولى، فقوة الحياة العملية وضعفها مرهونان بقوة الحياة العلمية وضعفها.

"وقد أوصى الإبراهيمي طلاب العلم بطلب العلم لوجه الله، لا من أجل نيل الشهادات والوظائف العليا في المجتمع كما يسعى أغلبهم اليوم، ناصحا إياهم ألا ينغمسوا في الملذات والأشياء الرذيلة، وأن يعتصموا بالعلم الذي من أجله هاجروا الأهل والوطن، والذي هو بحاجة ماسة إليهم".[2]

كما ونوّه الإبراهيمي إلى قيمة المتعلم في وطنه، ووصفه بالمثقف الذي أعطى له منزلة وواجبات اتجاه أمته، أما منزلته فهي عظيمة، إذ يعتبر المثقفون "حفظة التوازن في الأمم وخيارها وسادتها وقادتها وحراس عزها ومجدها، والمثقفون في الأمة هم علمائها وأهل الرأي والبصيرة فيها، تحتاج إليهم في أيام الأمن لينهجوا لها سبيل السعادة والحياة، وينفعوها بعلمهم وآرائهم الصائبة، وتحتاج إليهم في أيام الخوف ليحلوا مشاكلها ويخرجوها من المضائق والأزمات، أما واجباتهم إصلاح أنفسهم قبل كل شيء، ثم إكمال نقائصهم العلمية واستكمال مؤهلاتهم التثقيفية حتى يصلحوا لتثقيف غيرهم، وإصلاح مجتمعهم بالتعارف والتقارب في الأفكار والتفاهم في إدراك الحياة وتصحيح وجوه النظر إليها، والامتزاج بالأمة والاختلاط بطبقاتها، والتحبب إليها ومشاركتها في شؤونها الاجتماعية، ومشاركتها في عبادتها وفي الصالح من عوائدها، وكل ذلك من أجل واجب أصيل هو إيصال النفع والخير إلى الأمة ورفع الأمية والجهل عنها، وحثها على العمل وتنفيرها من البطالة والكسل، وتصحيح فهمها للحياة

(1) بتصرف: محمد البشير الإبراهيمي، إلى أبنائي الطلبة المهاجرين في سبيل العلم ، البصائر(1947-1948) ، العدد9 ، ص 69.
(2) بتصرف: المرجع نفسه، ص 70.

وتنظيف أفكارها وعقولها من الخرافات وتنظيم التعاون بين أفرادها، وتمتين الصلة بين العامة والخاصة منها، وتعليمهم معاني الخير والرحمة والإحسان لجميع الخلق".[1]

وقد وضع الإبراهيمي للمتعلم بعض الشروط والواجبات التي لا بد له أن يتقيد بها، والتي بواسطتها يتم العلم النافع الصحيح وترسخ بها المعرفة العلمية التربوية في الذاكرة، وتسير من خلالها العملية التعليمية على أكمل وجه، لأنها ليست شروطا فحسب بل هي مبادئ تربوية قيمة، يمكن أن نلخصها في النقاط التالية:[2]

1- الانقطاع للعلم بإنفاق كل الوقت في تحصيله والاستزادة منه.

2- استثمار كنوز العلم بالبحث والمطالعة المثرة وكثرة المناظرة والمراجعة الدائمة.

3- وجوب التعرف على الجديد من العلم والطريف من الآراء واختيار النافع المفيد من الكتب.

4- تدوين العلم بدل حفظه في الذاكرة، لأن التدوين يحفظه أكثر مما تحفظه الذاكرة.

5- أخذ العلم من أفواه الرجال وبطون الكتب والرحلة في سبيل تحصيله.

6- عدم الاكتفاء بالدروس وحدها، بل تدعيمها بالمذاكرة في أوقات الفراغ لأن المذاكرة لقاح العلم وفاتحة لأبوابه.

7- عدم الاكتفاء بالكتاب المدرسي المقرر للسنة الدراسية، وقراءة غيره من الكتب السهلة المبسوطة التي تزيد من الفهم و الإدراك، كالاطلاع على كتب التاريخ والأدب والأخلاق والتربية.

8- حسن استغلال أوقات الفراغ وعدم تضييعه فيما لا ينفع صاحبه.

9- عدم الاكتفاء بحفظ المتون وحدها، وتدعيمها بكل ما يقوي المادة اللغوية وينمي الثروة الفكرية ويغذي الملكة البيانية.

10- حفظ القرآن الكريم وتلاوته، وتربية اللسان على الاستشهاد به في اللغة والقواعد والدين والأخلاق، واستظهاره أثناء الحاجة إليه.

(1) بتصرف: أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ، ج2 ، مرجع سبق ذكره ، ص ص 126-128-129.

(2) بتصرف: محمد البشير الإبراهيمي، إلى أبنائي الطلبة المهاجرين في سبيل العلم ، البصائر(1947-1948) ، العدد9 ، ص ص 69-70.

11- تجنب استباق الأحداث أو التدخل في حل مشاكلها، لأنه لكل وقت حدثه، وعدم التسرع في إنجاز المهام دون أن يحل وقتها، وأخذها في وقتها بقوة واستحقاق.

هذه من جملة المبادئ والخصائص العلمية والواجبات التي ذكرها الإبراهيمي ونصح بها المتعلمين الراغبين في العلم، وإن دلت على شيء فهي تدل على مدى اهتمام الإبراهيمي بالمتعلمين الذين عدهم أساس بناء الأمة ونهضتها، وهي مبادئ وأسس ضرورية للتبحر في العلوم في وقتنا الراهن، والتي نحن بحاجة إليها لأنها تنير دروب المعرفة على من يأخذ بها، وتفتح آفاق عريضة وأبوابا واسعة في وجه طالب العلم، تترسخ بها معارفه وتنمو من خلالها ملكته، فيكبر حبه للعلم الذي ينفع به أمته ويخرجها به من الظلمات إلى النور.

3- المادة التعليمية/المحتوى:

لم يهمل الإبراهيمي عند اهتمامه بمقومات العملية التعليمية المحتوى الذي يقدمه المعلم ويتلقاه المتعلم في جميع المواد الدراسية، فركز على المادة التعليمية، كما ركز على المعلم والمتعلم، باعتبارها الركن المكمل لعملية التعليم، فاهتم بمحتواها الوارد في متون الكتب العلمية ومختلف المصنفات، وسعى إلى توضيحها للمسؤولين والمعلمين، ودعاهم إلى الالتزام بها وتلقينها للمتعلمين، والمادة التعليمية عند الإبراهيمي متنوعة وليست واحدة ولا جامدة، يستفيد منها المتعلمون في حياتهم العلمية والعملية، وحتى في حياتهم الاجتماعية، لأنها زاخرة بتعاليم الدين والثقافة الاسلامية ومبادئ التربية والأخلاق، ويمكن أن نوجزها فيما يلي:

1- احتواء المادة التعليمية على اللغة العربية وفنونها وعدها أساسا للتربية والتعليم، فهو يرى أن الرأي الصواب هو أن نتعلم ديننا ولغتنا وكل ما يخدمها من علوم وفنون من البداية إلى النهاية.

2- مسايرة المادة التعليمية أو المحتوى لروح العصر ومستجداته، يقول: "والأمة تريد تعليما يساير العصر وقوته ونظامه، لا تعليما يحمل جراثيم الفناء، وتحمله نذر الموت".[1]

(1) أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ، ج3 ، مرجع سبق ذكره ، ص 283.

3- أن يكون المحتوى سهلا واضحا مبسوطا من خلال ما تحتويه الكتب، يقول: "واقرأوا غيره من الكتب السهلة المبسوطة في ذلك العلم...وسينتهي الإصلاح الذي تقوم به إرادات جامعاتنا إلى اختيار كتب سهلة ممتعة في كل علم، تفرض عليكم قراءتها ومطالعتها".[1]

4-أساس العلوم ومتن المادة التعليمية هو القرآن الكريم، فلابد من تعليم مبادئه وارتكاز المحتوى على أفكاره والاستشهاد به في كل مادة لتعزيز قوة الفكرة وصحتها في أذهان التلاميذ، يقول: "القرآن القرآن، تعاهدوه بالحفظ وأحيوه بالتلاوة، وربّوا ألسنتكم على الاستشهاد به ".[2]

5-أن تكون المادة التعليمية أصلية مأخوذة من بطون الكتب، والاعتماد على ما صح وثبت بالدليل والابتعاد عن القشور ومما لا فائدة من ورائه.

6-تنوع المحتوى العلمي وإثرائه بمختلف العلوم، فهو لم يكتف في حديثه عن علوم الدين و العربية، بل ذكر علوما أخرى يرى أنها ضرورية في المحتوى التعليمي، كالتاريخ والجغرافيا والرياضيات وعلوم الطبيعة والأدب والتربية والحكمة والطب وغيرها.

7- توحيد المادة التعليمية في جميع المدارس لتأخذ الامتحانات طابع الشمولية والتنظيم، يقول: "إننا نجري على منهاج واحد، ونسير على برنامج واحد عاهدنا الله على تنفيذه".[3]

إذن فالمادة التعليمية التي أوردها البشير الابراهيمي في ثنايا مقالاته ثرية ومتنوعة تأخذ بيد المعلمين والمتعلمين إلى الرقي والازدهار، لاسيما وأنه دعا الى ضرورة احتوائها على علوم جديدة كالطب والرياضيات والتاريخ والجغرافيا، وهي العلوم التي تحتاجها الأمة في جميع ميادين الحياة، والأعظم من ذلك أنه دعا الى ضرورة مواكبة المحتوى لروح العصر ومستجداته.

(1) أحمد طالب الإبراهيمي آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ، ج3 ، ص 203.
(2) المرجع نفسه، ص 204.
(3) المرجع نفسه ، ص 282.

المبحث الثاني: مناهج التعليم عند البشير الإبراهيمي

كان اهتمام العلامة محمد البشير الإبراهيمي بالتعليم وأركانه ومقوماته اهتماما بالغا لما له من الأهمية في نجاح العملية التعليمية، إذ لا يتم التعليم دون معلم ولا يتم دون متعلم، كما لا يتم دون محتوى، وكل هذه العناصر بحاجة ماسة إلى مناهج توجهها وتدعمها للوصول إلى غاياتها الكبرى وهي التربية والتعليم، ولم يهمل البشير الإبراهيمي مناهج التعليم ولا طرائقه التي يقتدي بها المعلم أثناء عملية التدريس، لأن المناهج تحتل مكانة هامة في العملية التربوية، وتمثل وسط التفاعل بين المعلم والمتعلم، إضافة إلى أنها تتضمن محتوى عملية التعلم، وعندما وضع الإبراهيمي أسس التعليم وحدد مهام المعلمين اتجاه تلاميذهم، وضع كذلك برامج حافلة بالتعليم العربي بجميع أنواعه وضمنها أصولا عظيمة من علم التربية.

كان لهذه البرامج بالغ التأثير في سير عملية التعليم في جميع المدارس والمعاهد آنذاك، وخصوصا التعليم الابتدائي الذي كان جل اهتمام الإبراهيمي منصبا عليه، لاعتبارها الركيزة الأساسية في تنشئة الطفل، إما تنشئة صالحة أو طالحة.

المطلب الأول: المناهج التعليمية الصالحة عند البشير الإبراهيمي

1/ المناهج التعليمية بمفهومها القديم:

كان يقصد بالمنهج قديما مجموعة المواد الدراسية المقررة التي يطلب من التلاميذ حفظها، ويركز المنهج القديم على جانب المعرفة أو المعلومات، فيقتصر على معلومات نظرية مرتبة ترتيبا منطقيا يتفق ومنطق المادة الدراسية، والمناهج كما عرفها "الهاشمي" في "البصائر" هي: "طرق مختلفة للتعليم معروضة في نشرة معروفة بالأوامر الرسمية، ومناهج التعليم ليست بمفروضة، وإنما هي عبارة عن نصائح يستحب إتباعها، فلا يجبر معلم على التقيد بها وهو حر في تطبيقها تطبيقا يتفق ومزاجه أو مشربه الخاص".[1]

(1) الهاشمي، في التعليم ، البصائر(1949-1950) ، العدد135 ، مرجع سبق ذكره ، ص 369.

أما المنهج بمفهومه المعاصر فيقصد به "مجموعة من الخبرات التربوية المخططة التي توفرها المدرسة لتلاميذها لمساعدتهم على بلوغ النواتج التعليمية المنشودة، والتي تتفق مع أقصى إمكانات التلاميذ وقدراتهم، كما يتشكل هذا المنهج من الأهداف والمحتوى والأساليب والإجراءات والأنشطة التربوية التي تؤدي إلى تحقيق الأهداف والتقويم، كما يُبنى على مجموعة من الأسس أهمها: الأسس الفلسفية والنفسية والاجتماعية والمعرفية".(1)

و يُشترط عند وضع المناهج التعليمية لأي مرحلة من مراحل التعليم مراعاة أساسين هامين هما:(2)

أ- التلميذ بخصائص نموه وحاجاته وكيفية تعلّمه وصحته النفسية، وهو ما يعرف بالأساس السيكولوجي للمنهج.

ب- المجتمع بتراثه الثقافي وقيمه ومعاييره ومشكلاته وآماله وأهدافه الحاضرة والمستقبلة، وهو ما يعرف بالأساس الاجتماعي التربوي للمنهج.

2/ مناهج التربية والتعليم الصالحة في نظر البشير الإبراهيمي:

إن العلامة الكبير "محمد البشير الإبراهيمي" من كبار العاملين في حقل التربية والتعليم في العالم الإسلامي، فهو مربّ ومعلّم بأوسع ما تتضمنه كلمتي تربية وتعليم من معان، وقد أدرك أهمية الجمع والتوحيد بين علوم الدنيا والدين، فكان من أقوى الواعين إلى نشر التعليم بين أبناء الأمة وهو مقتنع بأن واجب هذا التعليم هو حماية وتأكيد الذاتية العربية الإسلامية في الجزائر قبل كل شيء، لذلك حرص على أن يكون تعليما كاملا تاما لا تشوبه شوائب لأنه طوّقه بالتربية الإسلامية المستمدة من القرآن الكريم، متّبعا في ذلك مناهج الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ومناهج الصحابة والتابعين.

ويظهر تأثر الإبراهيمي بمناهج الرسول صلى الله عليه وسلم وطريقته في تعليم أصحابه وأتباعه والسير على تعاليم القرآن الكريم، وتطبيق مبادئه وتعاليمه من فقه وشريعة وأحكام، وجعل التربية أساسا للتعليم، في مقالاته التي نشرها في جريدة البصائر، وخطاباته في المحافل والندوات ووصاياه ونصائحه للمعلمين والمدراء، وأمله في تطبيق ما

(1) بتصرف: عزت جرادات وآخرون، أسس التربية ، دار صفاء للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، ط1 ، 2008 ، ص ص 128-129.

(2) تركي رابح، الشيخ عبد الحميد بن باديس، فلسفته وجهوده في التربية والتعليم (1900-1940) ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر، د.س، ص 302.

دعى إليه في جميع المراحل والعصور، والسير على هذه المناهج التي لا يضل بها من يتبعها، لأنها منبع التربية الدينية الإسلامية الصحيحة التي ذكرها الله سبحانه وتعالى في سور وآيات كتابه العزيز.

وقبل توضيحنا للمناهج الصالحة في نظر البشير الإبراهيمي، والتي كان يعدها مفتاح الشخصية السليمة القويمة النافعة لدينها ودنياها، ألا وهي التربية، وقد وضح الإبراهيمي مفهوم التربية حين وضعه بجوار مصطلحي العلم والعمل، وهي في نظره "مقدمة على التعليم، وهي الأرض والتعليم شجرها ونباتها، والمتعلم بال أخلاق وتربية، شجرة بلا ثمرة، وجسم بلا روح، ومصباح بلا نور، والإنسان يتعلم لينفع ويكون مصدر خير وهداية وصلاح، وهل ينفع العالم بدون تربية وأخلاق؟".[1]

وتبدأ التربية عند الإبراهيمي بالشباب الذي يعلق عليه الأهمية الكبرى قائلا: "إن شباب الأمة هو الدم الجديد في حياتها، فمن الواجب أن يصان هذا الدم عن أخلاط الفساد، ومن الواجب أن يتمثل فيه الطهر والفضيلة والخير...وهذه الطلائع لا تحقق رجاء الأمة إلا إذا انقطعت للعلم، وتخصصت في فروعه، ثم زحفت إلى ميادين العمل، مستكملة الأدوات تامة التسلح، تتولى القيادة بإرشاد العلم، وتحسن الإدارة بنظام العلم، فتثأر لأمتها من الجهل بالمعرفة، ومن الفقر بالغنى، من الضعف بالقوة، ومن العبودية بالتحرير، وتكتسح من ميدان الحق بقايا الدجالين، ومن ميدان السياسة والنيابة بقايا السماسرة والمتجرين، ومن أفق الرياسة بقايا المشعوذين والأميين".[2]

ومن كثرة اهتمامه بالتربية لأنها منبع الأخلاق والعلم المثمر، ومنبع الطهر والفضيلة كان يدعو دائما إلى تربية تعتني بالإيمان وبالأخلاق وبالعلم والعمل، تربية تحرر من الاستعمار وتقضي على التخلف وتحقق مجتمعا إسلاميا جديدا قويا موحدا، وهذا يدل على إيمانه العميق بدور الأخلاق والعلم في نهضة الشعب وتحريره وبنائه على أسس سليمة، فإن غابت الأخلاق وغاب الإيمان بالله في نفوس المسلمين، ينجر وراءها فتور الهمة وانحراف السلوك وآفات التردد، يقول الإبراهيمي مخاطبا المعلمين: "يفيدكم ضعف حظكم من العلم إذا وفر حظكم من الأخلاق

(1) محمد الصالح الصديق، يفنى الرجال وتبقى الأعمال ، الثقافة ، مرجع سبق ذكره ، ص 369.

(2) محمد البشير الإبراهيمي، جمعية العلماء أعمالها ومواقفها ، البصائر(1947-1948) ، العدد4 ، مرجع سبق ذكره ، ص 30.

الفاضلة، فإن أمتكم في حاجة إلى الأخلاق والفضائل، إن حاجتها إلى الفضائل أشد و أوكد من حاجتها إلى العلم، لأنها ما سقطت هذه السقطة الشنيعة من انتقاص في العلم، ولكن من انتقاص في الأخلاق".[1]

وكان الإبراهيمي يعتبر أن المكان الأول السؤول عن تربية الأبناء هو المنزل "لأنه من واجبات الآباء نحو أبنائهم وبناتهم تربيتهم تربية صالحة، تبدأ من تعلم الدين واللغة وتعلم التربية العربية الإسلامية، التي تعمل على توجيههم نحو المثل العليا والأخلاق السامية وتجعلهم اعضاء صالحين عاملين لخير المجتمع والأمة".[2]

والتربية التي يدعو إليها الإبراهيمي هي التربية الإسلامية، بمعنى تربية مصدرها الإسلام، ومنهاجها القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، تربية تقوم على احترام إنسانية الإنسان، تهدف إلى تحريره من عبودية العباد إلى عبودية رب العباد، تربية عقلية وجسمية وخلقية وروحية وانفعالية واجتماعية، تهدف في النهاية إلى إعداد الإنسان الصالح المؤمن.

وبعد أن بيّنا أهمية التربية عند البشير الإبراهيمي، وأنها أساس التعليم، فلا يتم التعليم إلا بالتربية، ولا تتم التربية إلا بالتعليم، يأتي حديثنا عن المناهج التي دعا الإبراهيمي إلى الالتزام بها ورأى فيها الكثير من الخير والصلاح في نجاح العملية التربوية التعليمية، ويمكن أن نوجزها في النقاط التالية:

1- الاعتماد على القرآن الكريم، وعدّه منهجا تربويا تعليميا، فكتاب الله تعالى يحتوي على كل ما يتعلق بالدين والعلم والحياة، ولن يجد المعلم منهاجا للتعليم والتربية الإسلامية الصحيحة أحسن من القرآن الكريم، فيراه الإبراهيمي الدواء الناجع لمعالجة أمراض المسلمين والأساس الذي تبنى عليه الشخصية السليمة، لأن فيه ما يغنينا عن جميع الأخلاق، ولقد كان القرآن في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم سراجا منيرا يأخذ بأيدي المسلمين إلى قمة المجد والسؤدد بالعمل لا بالقول، فكانوا خير أمم عصرهم وأعلاها وأمجدها، وقد عبر الفيلسوف الأكبر محمد

(1) محمد البشير الإبراهيمي، كلمات واعضة لأبنائنا المعلمين، البصائر(1949-1950) ، العدد132 ، ص 343.
(2) بتصرف: علي مرحوم، واجب الآباء، البصائر(1949-1950) ، العدد99 ، ص 80.

البشير الإبراهيمي عن هذا الداء المتأصل في قومه بقوله المؤثر: "فخالوكم على البعد أعمالا، فوجدوكم على القرب أقوالا".[1]

ويرى الإبراهيمي أن المسلمين الأولين أصلحهم القرآن لأنهم كانوا يعملون به وقاموا بترجمته إلى أخلاقكم وسلوكهم ولم يكتفوا بالتعبد به، وفي هذا يقول: " ماكان الصدر الأول من سلفنا صالحا بالجبلّة والطبع، فالرعيل الأول منهم وهم الصحابة كانوا في جاهلية جهلاء كبقية العرب، وإنما أصلحهم القرآن لما استمسكوا بعروته، واهتدوا بهديه، ووقفوا عند حدوده، وحكموه في أنفسهم، وجعلوا منه ميزانا لأهوائهم وميولهم...فبذلك أصبحوا صالحين مصلحين، سادة في غير جبريّة، قادة في غير عنف، ولا يصلح المسلمون ويسعدون إلى إذا رجعوا إلى القرآن، يلتمسون فيه الأشفية لأدوائهم، والمكبح لأهوائهم".[2]

كما يرى أن الإصلاح والتجديد في جميع ميادين الحياة والعلم يقوم على أساس العودة إلى كتاب الله وسنة رسوله الكريم، فلن يصلح آخر الأمة إلا إذا صلح به أولها، وقد كتب في هذا الموضوع عدة مقالات، وتحدث عنه في كثير من خطبه ومحاضراته، إذ يقول في إحدى مقالاته: "ما أضاع المسلمين ومزّق جامعتهم ونزل بهم إلى هذا الدرك من الهوان، ألا بعدهم عن هداية القرآن، وجعلهم إياه عضين، وعدم تحكيمهم له في أهواء النفوس ليكفكف منها، وفي مزالق الآراء ليأخذ بهم إلى صوابها...وفي أسواق المصالح والمفاسد ليميز هذه من تلك...وفي شعب الأحكام ليقطع فيها بفصل الخطاب".[3]

وقد أكد الشيخ ابن باديس هذه الفكرة في قوله: "ولن يصلح التعليم إلا إذا رجعنا به للتعليم النبوي في شكله وموضوعه، في مادته وصورته، فيما كان يعلم صلى الله عليه وسلم، وفي صورة تعليمه، فقد صح عنه صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم أنه قال: إنما بُعثت معلما".[4]

(1) زهور ونيسي، فائدة العلم العمل ، البصائر(1954-1955) ، العدد303 ، مرجع سبق ذكره ، ص 267.
(2) محمد الصالح الصديق، يفنى الرجال وتبقى الأعمال ، الثقافة ، مرجع سبق ذكره ، ص 370.
(3) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
(4) تركي رابح، الشيخ عبد الحميد بن باديس ، مرجع سبق ذكره ، ص 304.

وكان الإبراهيمي يسير على منهج القرآن في التعليم والإصلاح والتجديد، يعمل بأحكامه ومواعظه وأوامره، لأنه كلام الله سبحانه وتعالى ولا يوجد أغنى من كلامه، فعندما قال تعالى: "اقرأ باسم ربك الذي خلق"[1]، دعا الإبراهيمي إلى العلم والتعليم وحرص على إيصاله للأمة أشد الحرص، إتباعا لكلام الله وعناية الإسلام بالعلم والتعليم والتعلم، وتشجيعه منذ بدأ الرسالة الإسلامية، وعندما أقسم تعالى بالقلم تعبيرا عن السر العظيم الذي ينطوي عليه هذا الرمز من علم ومعرفة في قوله: "ن والقلم وما يسطرون"[2]، كان الإبراهيمي يحث على تعلم القراءة والكتابة لما لها من فضل في العلم ومحو الأمية والجهل، ويدعو الشباب إلى الزيادة في طلب العلم والتحصيل وعدم الاكتفاء بالقليل منه، والرحلة في سبيله مطبقا لقول الله تعالى: "وقل رب زدني علما"[3]، وقول رسوله صلى الله عليه وسلم: "اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد"[4]، وقوله كذلك: "الغدوة في طلب العلم؟ أحب إلى الله من مئة غزوة"[5]، حيث يعتبر تحصيل العلم عبادة، بل هو أفضل العبادات لما له من ثواب عند الله، يقول تعالى: "يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات".[6]

كما فرق الله سبحانه وتعالى بين العالم والجاهل وقيمة كل منهما في قوله: "قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون"[7]، وقد عمل بذلك الإبراهيمي حين بين أهمية المثقف في وطنه والفرق بينه وبين الأمي الجاهل وأثرهما في حياة المجتمع، وكان يدعو إلى الإخلاص في العمل ويحث المعلم على تأدية الأمانة المنوطة إليه، والحفاظ على تنشئة جيله من التلاميذ تنشئة كاملة، يرون فيها الصدق والإخلاص في العمل وهو ما أمر به تعالى في قوله: "وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون"[8]، وهو ما يؤكد اتباع الإبراهيمي لمنبع الإسلام وهو القرآن

(1) سورة العلق، الآية 1.
(2) سورة القلم، الآية 1.
(3) سورة طه، الآية 114.
(4) حديث شريف.
(5) حديث شريف.
(6) سورة المجادلة، الآية 11.
(7) سورة الزمر، الآية 9.
(8) سورة التوبة، الآية 105.

الكريم واعتماده منهجا تعليميا صالحا في كل زمان ومكان، لا يخص التعليم فحسب، بل يخص حياة الإنسان وشؤون الكون بكامله، ويكوّن التربية الصحيحة والتربية التعليمية بالتعاليم الإسلامية التي يبحث عنها الإبراهيمي.

2- السير على منهج الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين في التعليم، ويتمثل هذا المنهج في دراسة الأصول العامة للثقافة الإسلامية والقوانين المطردة التي تندرج تحتها الفروع والجزئيات الفقهية، فقد دعا الإبراهيمي إلى اتباع منهج الرسول صلى الله عليه وسلم في تعليم أصحابه بتلاوة القرآن عليهم والتقيد بأفعاله وسيرته وسلوكه العملي في مجالس تعليمه، وفي جميع أحواله، وذلك من خلال التفقه في القرآن والسنة، يقول: "إن في الفقه فقها لا تصل إليه المدارك القاصرة، وهو لب الدين وروح القرآن وعصارة سنة محمد صلى الله عليه وسلم، وهو تفسير أعماله وأقواله وأحواله ومآخذه ومتاركه، وهو الذي ورثه عن أصحابه وأتباعهم إلى يوم الدين، وهو الذي يسعد المؤمنون بفهمه وتطبيقه والعمل به، وهو الذي يجلب لهم عزّ الدنيا والآخرة، وهو الذي نريد أن نحييه في هذه الأمة فتحيا به، وتصحح به عقائدها، وتقوم به فهومها، فتصح به عباداتها وأعمالها، فإن العبادات هي أثر العقائد، كما أن الأعمال هي أثر الإرادات، وما يبنى منها على الصحيح يكون صحيحا، وما يبنى على الفاسد يكون فاسدا".[1]

والفقه عند الإبراهيمي منهاج للتعليم لأن من خلاله تتبين طريقة التدريس عند المعلم، وذلك بالأخذ من القرآن والسنة والإجماع والقياس، وهي مصادر التشريع الإسلامي التي كان الإبراهيمي عالما بأسرارها وداعيا إلى تعلمها والتبحر فيها، وقد سمّى الشخص الملّم بأصول الفقه وعالما بمكنوناته، مجتهدا، وهو الشخص القوي المدارك، الملم بأصول الفقه وبطرق الاستنباط، وبقواعد اللغة وبمقاصد الشريعة، وهو ما لخّصه الغزالي أثناء حديثه عن المجتهد في قوله: "وله شرطان أحدهما أن يكون محيطا بمدارك الشرع متمكنا من استثارة الظن بالنظر فيها وتقديم

(1) عبد اللطيف عبادة، الاجتهاد في نظر الشيخ البشير الإبراهيمي ، الثقافة ، مرجع سبق ذكره ، ص ص 294-295.

ما يجب تقديمه، وتأخير ما يجب تأخيره، والشرط الثاني أن يكون عدلا مجتنبا للمعاصي القادحة في العدالة، وهذا يشترط لجواز الاعتماد على فتواه، لأن من ليس عدلا فلا تقبل فتواه".[1]

والفقه الحقيقي الذي يبلغه المجتهد عند الإبراهيمي، هو جوهر الدين، روح القرآن وعصارة السنة، وهما المصدران الرئيسيان اللذان تستنبط منهما الأحكام، ويؤخذ منهما الفقه الأكمل، كما يؤخذ من عمل السلف وكتب العلماء، يقول الإبراهيمي: "ولو أن فقهاءنا أخذوا الفقه من القرآن ومن السنة القولية والفعلية، ومن عمل السلف، أو من كتب العلماء المستقلين المستدلين التي تقرن المسائل بأدلتها، وتبين حكمة الشارع منها، لكان فقههم أكمل...ولكانت سلطتهم على المستفتي من العامة أمتن وأنفذ، ويدهم في تربيتهم وترويضهم على الاستقامة في الدين أعلى".[2]

ويلاحظ أن الإبراهيمي نبذ التقليد والخمول لأنه في رأيه ممقوت مذموع لما جرّه من ويلات على المجتمعات الإسلامية، ولما سبّبه من التأخر والانحراف عن الشريعة السمحة، والتخلف عن ركب الحضارة الإنسانية يقول عن العلماء المقلّدين أنهم "علماء يقرأون ويحفظون وينقلون، ولكنهم لا يفقهون..."[3]، كما يقول أيضا: "أصبحوا كأدوات التصدير التي يسبقها حرف الجر فيدخل عليها ويعمل فيها"[4]، كما يؤدي التقليد إلى جفاف الفقه لأنه عبارة عن عزوف الفكر عن التماس علل الاحكام وطلب حكمها ومعرفة مقاصد الإسلام منها، وهو ما يؤدي إلى جمود الفقه والفقهاء وإلى تعدي حدود الله، ويؤكد أن من واجبات العلماء أن "يجلوا على الأمة الكنوز الدفينة في كتاب الله، كتاب الإنسانية العليا، وفي سيرة محمد صلى الله عليه وسلم دستور الحق والخير والكمال".[5]

ويقارن الإبراهيمي حالنا بحال الغرب فيقول: "إن العالم في أوربا لا يعد عالما إلا إذا زاد في العلم شيئا، أو كشف من خفيّه شيئا، أو جلا من غامضه شيئا، ولا عجب فالعلم عندهم ياقوتة منجم وعندنا لفظة في معجم،

(1) عبد اللطيف عبادة، الاجتهاد في نظر الشيخ البشير الإبراهيمي ، المرجع السابق ، ص 295.
(2) المرجع نفسه، ص 296.
(3) المرجع نفسه، ص 313.
(4) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
(5) المرجع نفسه، ص 310.

والأولى تستخرج بالبحث والإلحاح، والثانية تستخرج بمعرفة الاصطلاح، والأولى حظ المجتهد العامل، والثانية حظ المقلّد".[1]

وبالتالي يدعو الإبراهيمي إلى ترك الجمود والتقليد وتبني الاجتهاد والتجديد، فتصح بذلك المثقفين الجزائريين أن سلكوا طريق الاستقلال الفكري في الحكم على الأشياء، وطريق التفكير المنطقي لا طريق التخريف، وحث الشباب على انتهاج طريق العلم، ونصحه بان يواجه الخصم بالحجة والإقناع ، لا باللجاج والإقذاع ، لأن الدين الإسلامي هو دين العقل والتفكير، وكان يرى أن طريق النجاة والخلاص بالنسبة للأمة هو طريق الابتكار والاجتهاد والعمل في كافة الميادين ولا سيما التربية والتعليم.

ومن الملاحظ أن منهج التعليم عند الإبراهيمي سواء ما تعلق بالقرآن الكريم والسنة النبوية والتفقه فيهما، لا يختلف عن منهج ابن باديس في التعليم، فقد اتفقا معا على نبذ المناهج السابقة في التعليم لما يترتب عليها من جمود وتقليد مقيت وقتل للفكر والابتكار، والذي كان يقتصر على دراسة الفروع الفقهية دون الرجوع إلى أصولها لمعرفة أسبابها، ودون الاعتماد على الاستدلال والتعليل والقياس، وكل هذا بعيد في نظر الشيخان عن القرآن والسنة النبوية، وبعيد عن التربية الإسلامية الصحيحة، لذلك عمد الإبراهيمي في منهجه أن يكون مهتما ليس بالجانب المعرفي فقط من شخصية التلاميذ، بل بتكوينهم تكوينا متكاملا في جوانبها المعرفية والخلقية والذوقية والاجتماعية والوطنية والدينية، وقد عبر الإبراهيمي عن هذا المنهج بقوله: "كانت الطريقة التي اتفقنا عليها أنا وعبد الحميد بن باديس في اجتماعنا بالمدينة المنورة عام 1913م في تربية النشء، هي ألا نتوسع له في العلم وإنما نربّيه على فكرة صحيحة ولو مع علم قليل، فتمّت لنا هذه التجربة في الجيش الذي أعددناه من تلامذتنا".[2]

ولا ننكر أن البشير الإبراهيمي بسيره على منهج الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين، كان يتبع تعاليم الرسول القيّمة، فعلّم الآباء كيفية تربية أبنائهم، والمعلمين كيفية تعليم تلاميذهم، وكان ينصح بتربية الطفل وتعليمه أوامر الدين الإسلامي عند سن التمييز، ومن ذلك أمْرِه بالصلاة في سبع وضربه في عشر، وتعليمه بعض

(1) عبد اللطيف عبادة، الاجتهاد في نظر الشيخ البشير الابراهيمي ، المرجع السابق ، ص 309.

(2) تركي رابح، الشيخ عبد الحميد بن باديس ، مرجع سبق ذكره ، ص 306.

أنواع الرياضات لما فيها من تقوية للبدن والذهن، فقال صلى الله عليه وسلم: "علمّوا أولادكم السباحة والرماية وركوب الخيل".[1]

ومن المناهج التي يمكن ملاحظتها في التعليم عصر الإبراهيمي والمستمدة من التربية الإسلامية المأخوذة عن القرآن والسنة النبوية والتي كان الإبراهيمي يدعو إلى تطبيقها في جميع المراحل التعليمية لما لها من الفائدة والنفع على شخصية الطفل ونموه وذكاءه، وعلى المنظومة التربوية إذ تساهم في نجاحها وتطورها، هي:[2]

– اشتمال المناهج على العلوم الإجبارية والعلوم الاختيارية، وهي ما أطلق عليها العلوم المقصودة لذاتها، كالعلوم الشرعية والفلسفة والحديث والفقه، والعلوم الآلية التي تعد وسيلة لغيرها، كنشأة اللغة والعلوم الطبيعية والرياضيات وغيرها.

– مراعاة مستوى الأطفال من الناحية العقلية، ومخاطبتهم على قدر عقولهم حتى لا ينفروا من التعلم وعدم الخوض بهم في فن أو علم قبل أن يستوفوا الذي قبله.

– مراعاة الفروق الفردية والقدرات القيادية لدى الأطفال، وأن يعامل كل منهم وفق طبائعه وميوله.

– مراعاة الإعداد المهني للطفل، إذ أن التعليم الأولي أو الأساسي للطفل ينبغي أن يمكنّه من اكتساب المهارات الأساسية للحياة العملية، ليجمع المتعلم بين القيم المعنوية والاعتبارات النفعية، فإذا فرغ الطفل من تعلم القرآن وحفظ أصول اللغة، وأتقن الكتابة، فإنه يوجَّه لاكتساب مهارات عملية وفق ما يصلح له الطفل.

– مراعاة استعدادات الطفل ودرجة نموّه العقلي، ونضجه الجسمي في التعلم وأثر الصحة النفسية للطفل في الإقبال على التعلم.

(1) حديث شريف.

(2) بتصرف: عزت جرادات وآخرون، أسس التربية ، مرجع سبق ذكره ، ص ص 83-84.

المطلب الثاني: برامج التعليم عند البشير الإبراهيمي

اهتم العلامة الإمام البشير الإبراهيمي ببرامج التعليم كما اهتم بمناهجه، ونقصد بالبرامج هنا برنامج التعليم الابتدائي الذي وضعه الإبراهيمي كدليل وموجه للمعلمين في تعليم أبنائهم، ولعل حديثنا بالأخص عن هذا البرنامج دليل على أهمية التعليم الابتدائي الذي يعتبره الإبراهيمي حجر الأساس الذي تبنى عليه شخصية المواطن، لأن مراحل التعليم الابتدائي هي مراحل التكوين الأولى للناشئة وعلى أساسها يبنى مستقبلهم في الحياة، فإن كان هذا التكوين صالحا كانوا صالحين لامتهم ولأنفسهم، وإن كان ناقصا مختلا زائفا بنيت حياة الجيل كله على فساد، وساءت آثاره في الأمة، وكانت الأمية أصلح لها منه وأسلم عاقبة.

وعلى قدر اهتمام الإبراهيمي بالتعليم الابتدائي، رأينا أن ذكر البرنامج الذي خصه به من واجبنا، وذلك لأهميته الكبيرة كما ذكرنا سابقا.

1- برنامج التعليم الابتدائي:

تحدّث "محمد الغسيري" عن هذا البرنامج في جريدة البصائر سنة 1949م، حيث قال: "وضع أستاذنا الجليل محمد البشير الإبراهيمي رئيس جمعية العلماء منذ سنوات برنامجا حافلا للتعليم العربي بجميع أنواعه، وضمنه أصولا عظيمة من علم التربية، وقد سألناه منذ عامين أن يجرّد لنا منه فصولا عملية تتعلق بالسنوات الست الابتدائية، ففعل —حفظه الله– وسلّمه لنا لنطبعه وننتفع به، وطالعناه فلم نجده كالبرامج المعتادة، وإنما هو (معلم مكتوب)، فهو يأخذ بيد المعلم ويسير به خطوة خطوة إلى الغاية لا يضل عنها ولا يجور، وكأنما هو (ملقن) من وراء المعلم يملي عليه الكلام ويرشده إلى كيفية العمل، لذلك آثر جماعة من قدماء المعلمين تسميته: مرشد المعلمين".[1]

وقد جاء في هذا البرنامج ما يلي:[2]

(1) محمد الغسيري، مرشد المعلمين، البصائر(1948-1949) ، العدد67، مرجع سبق ذكره ، ص 174.

(2) بتصرف: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

– تقسم مواد التعليم العربي الابتدائي على ست سنوات متوالية، هي المراحل الأولى في عمر التلميذ الناشئ، ويحصل حين يتجاوزها بنجاح على شهادة التعليم العربي الابتدائي، فيكون من خلالها الطفل صحيح التأدية للقراءة، طيّع اليد والقلم بالكتابة، محصلا لمبادئ الدين الإسلامي علما وعملا، ولمبادئ التاريخ الإسلامي الذي هو جزء من الدين، وأول تلك المبادئ السيرة النبوية وسيرة الخلفاء الراشدين، وذوي الآثار الخالدة في الإسلام من الصحابة والتابعين.

– يحفظ المتعلم في هذه المراحل أجزاء من القرآن الكريم حفظا متقنا، مع فهم المفردات الغريبة وخلاصة المعنى ومبادئ التجويد دراية بكيفية تؤهله للتوسع في مواد هذه المراحل وبلوغ الدرجات العليا فيها، إن لم ينقطع عن التعليم، فإن انقطع عن التعليم استطاع بمعونة حظه من العربية ان يبلغ ما يشاء بالدراسة والمطالعة لأنه يقرأ قراءة صحيحة، ويفهم فهما صحيحا، فيخرج في كلتا الحالتين بعلم غزير في دينه وفضائله وقوميّته ولغته وتاريخه، ونتيجة لهذا يكون عضوا حقيقيا من أمته صالحا للحياة لها وبها ومعها، نافعا محبا محبوبا، حريصا على ذلك عاملا له، داعيا إليه، وهذه هي الغايات من التربية الصالحة والتعليم النافع.

– يجتاز التلميذ هذه المراحل الستة بعد العقد الأول من عمره بقليل، فيكون غداؤه العقلي مسايرا لغدائه الجسمي، ويكون تكوينه الروحي جاريا مع تكوينه البدني في آن واحد، ويكون نمو مداركه العقلية بالعلم والمعرفة مقارنا لنمو إحساساته النفسية بالطبع والفطرة، ويتلقى العقد الثاني من عمره وهو عهد الإحساس بجمال الحياة، مزودا بإحساس آخر هو جمال العلم وشرف الفضيلة والدين، ويتلقى فيه النزوات وتتنبّه غرائزه الفطرية، فيدفعها عنه بما تسلح به من الأخلاق والفضائل.

ويرشد الإبراهيمي المعلمين في هذا البرنامج إلى أساليب التعليم ليأخذوا بها كدليل يساعدهم على تأدية واجباتهم على أكمل وجه، فينصحهم أن يكونوا على قدر من المسؤولية ويشدوا الحزام لتأدية هذه الأعمال، ويجعلوا من أخلاقهم وعزائمهم مرآة للناشئة وقدوة صالحة لهم، لينطبع هذا الجيل على أخلاق متينة وعزائم قوية

ودين صحيح، لأن هذا الجيل يعتبر حجر الأساس في بناء الأمة ولا بد أن يكون حجرا صلبا محكم البناء ثابت الأركان والأسس حتى يثبت عن الشدائد والهزات.

وما كان هذا البرنامج الذي وضعه البشير الإبراهيمي، إضافة إلى برنامج تعليم البنت المسلمة، إلا مرشدا لهم إلى أحسن الطرائق في التعليم، ومعينا لهم على تنسيق المسائل في الوقت الذي تعسّرت فيه الكتب وكادت تتعذر، وهي تمهيدات تخفف عنهم المشقة في التعليم، ومذكّرا إياهم بأن الغاية من توحيد البرنامج هي توحيد التعليم والتربية، حتى ينشأ الجيل الجديد مطبوعا بطابع واحد في لسانه وبيانه وقلمه، وفي تفكيره ومشربه وفي آرائه في الحياة ونظرته إليها وأحكامه عليها.

كما يرشدهم إلى طريقة تعليم النشء بعدم الاعتماد فقط على البرامج والكتب، لأن النظم الآلية لا تبني عالما، ولا تكوّن أمة، ولا تجدد حياة، وإنما هي ضوابط وأعلام ترشد إلى الغاية وتعين على الوصول إليها من طريق قاصد وعلى نهج سوي، بل العمدة الحقيقية في الوصول إلى الغاية من التربية هي ما يفيض من نفوس المعلمين على نفوس تلاميذهم من أخلاق طاهرة قويمة يقتبسونها منهم، وما يبعثونه في أرواحهم من قوة وعزم، وفي أفكارهم من إصابة وتسديد، وفي نزعاتهم من إصلاح وتقويم، وفي ألسنتهم من إفصاح وإبانة، وكل هذا لا يتوفر في البرامج، وإنما يتوفر في النفوس.

2- برنامج التعليم الثانوي:

لم يهمل الإبراهيمي المرحلة الثانوية، بل وضع لها برنامجا كذلك مسايرا لروح العصر ومستجداته، فوضع لمعهد عبد الحميد بن باديس إدارة متمثلة في ثلاث هيئات، أولها هيئة علمية، وثانيها هيئة مالية، وثالثها هيئة مراقبة وضبط، كما خصّه بشروط لقبول التلاميذ، وبرنامجا ملائما للسنوات الدراسية فيه، فكان منه:[1]

(1) بتصرف: أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ، ج2 ، مرجع سبق ذكره ، ص 174.

– مدة الدراسة بالمعهد أربع سنوات تبتدئ بالسنة الأولى، وينتقل التلميذ إلى الثانية ثم الثالثة بامتحان، وتنتهي السنوات الأربع بشهادة تساوي في القوة مثلها في جامع الزيتونة، وتخوّل تلك الشهادة لحاملها الدخول في القسم الثانوي من الجامع المذكور.

– الدروس اليومية ستة: ثلاثة في الصباح وثلاثة في المساء، وكل درس يستغرق ساعة إلا عشر دقائق.

– برنامج الدراسة وكتبها هو برنامج السنوات الابتدائية في جامع الزيتونة.

– تكميل برنامج الدراسة بدروس في مبادئ الرياضيات والطبيعيات والجغرافيا والتاريخ وحفظ الصحة وأصول الأشياء، يقوم بها طائفة ممتازة من الأساتذة والأطباء والصيادلة والمحامين، ويؤدي فيها التلاميذ الامتحانات السنوية.

– يقوم بفحص التلامذة وأماكن الدراسة والسكنى، جامعة من الاطباء يوما من كل أسبوع، وتخصص لفحص التلامذة حجرة خاصة مجهزة بالضروريات اللازمة.

ولا ننسى أن البشير الإبراهيمي قد اهتم بالرياضة البدنية، سواء في التعليم الابتدائي او التعليم الثانوي، وحرص على إدخالها في البرامج التعليمية لما لها من النفع والفائدة على الصحة الجسمية والعقلية للتلاميذ، لأن مقدار نجاح الطفل في حياته العلمية متوقف على الصحة الجيدة، والمثل القائل: "العقل السليم في الجسم السليم" دليل على صحة كلامنا، "كما أن للرياضة البدنية فوائد عملية وفوائد تهذيبية جمّة، ومن الفوائد العملية أنها تمنح الجسم القوة والسرور، وتكسب الطفل الرشاقة في القد والحسن في القوام، وتبعده عن الأمراض، وتحببه في العمل، وتبعث فيه منذ الصغر روح الإتحاد والألفة، أما فوائدها التهذيبية، فهي ضبط النفس والخضوع للحق واحترام ملكية الغير وتنظيم الإرادة وتقويتها، وضبط القوة المتخيلة، وحب النظام والنظافة وغيرها".[1]

(1) بتصرف: محمد الصالح رمضان، الطفل والرياضة البدنية ، البصائر(1949-1950) ، العدد93 ، مرجع سبق ذكره ، ص 25.

ولهذا كانت الدعوة لإدخال الرياضة البدنية ضمن البرامج الدراسية من أولوية الأولويات، لأن صحة التلاميذ في التعليم هامة كأهميتها في مستقبل حياتهم الاجتماعية، ومدارس التربية والتعليم ليست مطالبة بالتربية الأخلاقية فقط، وإنما مطالبة كذلك بالتربية الخلقية عن طريق تقويم وتقوية الأبدان والأجسام لأنها طريق لتقويم العقول.

ما يلاحظ على هذه البرامج التي وضعها الإبراهيمي في عصره أنها ما زالت لحد الساعة تطبّق في مراحل التعليم في عصرنا الراهن، وإن كان ما يطبق اليوم مختلف قليلا عما كان قديما إلا أن تعاليم التربية اليوم مستمدة مما أوصى به وعمل عليه قادة الإصلاح والتعليم في الجزائر.

المبحث الثالث: طرق التعليم و وسائله عند البشير الإبراهيمي

تعد طرق التعليم من أساسيات تحقيق المنهج التربوي، وتعد الوسيلة أداة مكملة لجهد المعلم في عملية التعليم، إذ لا يستطيع المعلم إيصال أفكاره ومعارفه إلى تلاميذه دون إتباع طريقة تساعده على ذلك، أو الاعتماد على وسيلة تمكنه من تبليغ المادة العلمية أو محتوى الدرس إلى أذهانهم حتى ولو كانت بسيطة كالسبورة والطباشير. ولقد اهتم الأستاذ الإبراهيمي بطرق التدريس وأساليبه ووسائله وحرص على نصح المعلمين وإرشادهم إلى كيفية إيصال أفكارهم إلى التلاميذ في مختلف خطاباته ومقالاته وندواته، حيث اعتبر طرق التعليم ووسائله ركنا هاما من أركان التعليم، وبهما يحكم على مدى نجاح العملية التعليمية أو فشلها، لأن المعلم والمتعلم والمادة العلمية أسس تحتاج إلى مكمل لها لتبنى على قاعدة صحيحة، وتسير وفق خطة منهجية، تمكن الإدارة التربوية من بلوغ أقصى غاياتها وأهدافها، وهي التعليم الصحيح والتربية السليمة.

المطلب الأول: طرق التعليم الصحيحة في نظر البشير الإبراهيمي

لا يكتف المعلم الحقيقي بالمادة العلمية التي تزخر بها رفوف المكتبات، والتي بإمكان أي متعلم الوفود إليها، وإنما يركز أكثر على طريقة إيصالها إلى المتعلمين بأسلوب واضح وبسيط، والطريقة هي أساس إيصال المعلومات إلى التلاميذ، فإذا كانت جيدة كان الاستيعاب قويا مفيدا من قبل المتعلمين، وإذا كانت سيئة ساء استيعاب

التلاميذ لها، وقد كان الإبراهيمي من المربين الذين اهتموا بها لأهميتها في العملية التعليمية، ولفت أنظار المعلمين إليها وأطلعهم على مختلف طرقها، فالطريقة الصحيحة في نظره لتكوين الناشئة لا تكمن في حشد المعلومات الهائلة وتلقينها للمتعلمين، وإنما تكمن في حسن تربيتهم مع علم قليل من العلم النافع، يقول "كانت الطريقة التي اتفقنا عليها أنا وعبد الحميد بن باديس...في تربية النشء، هي: ألا نتوسع له في العلم، وإنما نربيه على فكرة صحيحة ولو مع علم قليل"[1]، فهو يرى أن العلم يبنى على التربية الصحيحة والعلم القليل المفيد وليس على كثرة المعلومات، لأن الكنز المعلوماتي الكبير "قد يكون مرتبا ترتيبا سيئا، أو في حالة فوضى إلى حد ما، أو يكون مختبئا في بعض أجزائه تحت إطار من سوء الفهم"[2]، إلا إذا تدخل المعلم ووضح للمتعلمين ذلك الكنز المعلوماتي بطريقة واضحة سهلة لا لبس أو غموض فيها.

ومن الطرائق التي كان الإبراهيمي يدعو المعلمين إلى اعتمادها في التعليم نجد:[3]

1- الحرص على أن تكون التربية قبل التعليم، فالتربية الفاضلة هي أساس العلم الصحيح.

2- بناء الأمور على أسبابها، والنتائج على مقدماتها علما وعملا.

3- استخدام المواهب الفطرية من عقل وفكر وذهن للوصول إلى الاستنتاج.

4- صدق التصور وصحة الإدراك ودقة الملاحظة.

5- الاعتماد على التمثيل والمشابهة لتتضح العلل والأسباب.

6- بسط القواعد للتلاميذ وعرضها في أسهل التراكيب، وتكثيف التمارين التطبيقية التي تساعد على الفهم وتثبيته في الأذهان.

7- الاعتناء بالمعنى أكثر من اللفظ، وإفهام المتعلمين معنى ما يدرسونه.

(1) تركي رابح، الشيخ عبد الحميد بن باديس ، مرجع سبق ذكره ، ص 306.

(2) مجدي عزيز إبراهيم، تنمية تفكير المعلمين والمتعلمين، ضرورة تربوية في عصر المعلومات ، عالم الكتب ، د.ب ، ط1 ، 2006 ، ص 257.

(3) بتصرف: أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ، ج3 ، مرجع سبق ذكره ، ص 272.

8- إنشاء حركات للكتابة والخطابة والتمثيل، لمساعدة الطلبة على هضم ما التهموه من النظريات المختلفة بتطبيق ما تعلموه من القواعد العلمية والأدبية، لما لهذه الحركات أو الهيئات من تأثير على نفوس الطلبة، بإبراز مواهبهم وتثبيت معلوماتهم، وتقوية مداركهم وتربية ملكتهم وحلّ عقدة لسانهم، ومن ثم تكوينهم تكوينا صالحا.[1]

9- الإعلان عن مادة الدرس قبل البدء فيها، و تقديم الدرس بمقدمة قصيرة تهيأ الطلبة إلى استقباله وترغبهم فيه، فمعرفة التلاميذ لعنوان الدرس تدفعهم إلى الانتباه و حصر الذهن فيه نتيجة لسياسة التشويق والترغيب، وتشجيع غريزة حب الإطلاع المكنونة في نفوسهم، التي يعمد إليها المعلم بإعلانه عن مادة الدرس وتقديم لمحة عنها.[2]

10- الابتعاد عن حشو المعلومات في عقل التلميذ أو حجزه في مكانه طوال الحصة الدراسية، بل يجب على المعلم أن يجد الوسائل التي توجهه لإدراك لذة إنتاجه، وتسمح له بالتدخل في مساعدة معلّمه، وتجعله يحس بلذة فوزه في حل مشكلة من المشاكل، أو انتصاره أمام مسألة من المسائل.[3]

11- إتباع سياسات حذقة و ذكية في تعريب ألسن التلاميذ و إبعادهم عن العامية شيئا فشيئا، وكمثال على ذلك ما ذكره "محمد الحسن فضلاء" في إحدى مقلاته التي نشرت في جريدة البصائر، متحدثا عن طرق المعلمين في تعليم اللغة العربية وجعلها لغة التلاميذ داخل المدرسة و خارجها بإتباع سياسات محكمة، يقول: "يسأل المعلم التلميذ: لماذا ضربت أحمد؟، فيجيب الولد: يا سيدي، نحّالي بلوطتي...، فيجيبه: ماذا تقول؟ : انتزع منك أحمد كرتك؟، ما فهمت كلامك، أعد تعبيرك يا ولدي، ماذا انتزع منك أحمد؟، فيجيب الولد وقد مهّد له المعلم: يا سيدي إن أحمد قد انتزع مني كرتي، وهكذا مرة أخرى يسأله: لماذا جئت في هذا الصباح متأخرا؟، ولعل التلميذ لا يفهم منه هذا التعبير، فيعمد إلى أسلوب آخر دون ان يلجأ إلى الدارجة: أنظر إلى التلاميذ فهم كلهم قد جاؤوا في الوقت المحدد (يشير إلى الساعة وجلوس التلاميذ) وأنت جئت متأخرا...فيجيب: بعثتني يما نشري الحليب، فنطلب منه إيضاح هذه العبارة ولا نقبلها منه، ويسكت فنرد عليه: بعثتك إلى أين؟، يقف التلميذ حائرا في

(3) بتصرف: أحمد رضا حوحو، تقوية مدارك الطلبة، البصائر(1948-1949) ، العدد90 ، مرجع سبق ذكره ، ص 363.

(4) بتصرف: عبد القادر قداح، المعلم ووسائل الإنتباه، البصائر(1954-1955) ، العدد300 ، ص 242.

(1) بتصرف: محمد الحسن فضلاء، التلميذ والوسائل التكميلية، البصائر(1953-1954) ، العدد238 ، ص 106.

الجواب فنسأله: بعثتك أمك لتشتري الحليب؟، فيقول: نعم يا سيدي، وهنا نحمّله على النطق بعبارة: نعم يا سيدي بعثتني أمي لأشتري لها الحليب، فنؤكد له ألا يتخلف مرة أخرى: إنك لا تعود إلى التخلف مرة أخرى، فيقول: نعم يا سيدي، فنطالبه بالجواب كاملا: لا أتخلف مرة أخرى يا سيدي"[1]، ومنه يستطيع المعلم الحذق بطريقته الخاصة أن يعرّب ألسنة تلاميذه في أمد قصير دون عناء ومشقة.

12- إعداد الدروس اليومية لكامل النهار وقبل الدخول إلى القسم، والإعداد نوعان، إعداد مجمل، وإعداد مفصل، فالمجمل هو الإعداد الشهري الذي يسجل فيه المعلم جميع الدروس الشهرية، أما المفصل فهو الإعداد الحقيقي الذي يبين فيه المعلم خطته وطريقته والوسائل التي أعدها لإيضاح دروسه، والتمارين التطبيقة وأساليب حصر انتباه التلاميذ، والذي هو أمر يتوقف عليه نجاح الدرس أو فشله[2]، وتساعد هذه الطريقة على تقديم المعلم لدروسه دون ارتباك أو تردد، فما عليه هو أن يتتبع الخطوات التي سطرها في دفتره لتقديم درسه، متجنّبا النسيان أو الفشل في إيصال المعلومات إلى تلاميذه، فالدقة والتنظيم من أولويات المعلم التي يجب أن يتقيد بها.

وما نريد التنويه إليه من خلال ذكرنا لهذه الطرق المختلفة في التعليم، والتي حرص الإبراهيمي وزملاءه المربون أن يوصلوها إلى المعلمين في جميع مدارس القطر الجزائري، أنها مستمدة من تعليم الرسول صلى الله عليه وسلم، ومنهجه في تعليم الصحابة والتابعين وأتباع التابعين، وتعليم الناس صغيرهم وكبيرهم.

وكنا قد ذكرنا ان الإبراهيمي سار على منهج الرسول صلى الله عليه وسلم في وضعه للمناهج التعليمية والحرص على تطبيق كلام الله من خلال تعليم القرآن الكريم واتباع اوامره ونواهيه واتباع سيرة نبيّه، وهذا ما يؤكد أن الإبراهيمي قد تأثر بطرق الرسول صلى الله عليه وسلم في التعليم واستمدها منها لأن أساليب الرسول الكريم في التربية كانت موسوعة كاملة لنماذج الطرق التعليمية التي عرفتها البشرية قبله وبعده.

"ففي أسلوب المحاضرة، كان يستقطب حواس سامعيه وانتباههم، فيعطي الجمهور المستمع حقائق محددة موضحة، وأقوالا مركزة، لم تكن وليدة برنامج تقليدي، بل ناتجة عن مواقف تستدعي ذلك العطاء في القول.

(2) محمد الحسن فضلاء، المدرسة الحديثة، البصائر(1954-1955) ، العدد273 ، مرجع سبق ذكره ، ص 28.

(1) بتصرف: محمد الحسن فضلاء، المدرسة الحديثة، البصائر(1953-1954) ، العدد268 ، ص 339.

وفي أسلوب المحاورة، كان يعتمد طرح الأسئلة ليبحث عن فكرة جديدة، أو يعالج مشكلة اجتماعية، أو يعمق قيمة منهجية، فالتعليم في طريقته صلى الله عليه وسلم لم يكن مجرد تلقين الأفكار والمبادئ، أو إلقائها في أدمغة وعقول خاوية، بل إيصال الأفكار والحقائق والمبادئ بتحريكها في محاولات عقلية من الاستيعاب والتحليل والتبصير.

وفي أسلوبه الذي يعرف اليوم بالتعليم الذاتي، كان عند لقائه مع أصحابه يقوم بتلاوة آيات القرآن المباركة، ثم يطلب من كتّاب الوحي بتلاوتها، ثم تكرار تلاوتها، فيخرج تلامذته صلى الله عليه وسلم بتوجيه دراسي جديد يعكفون عليه بأسلوب التعليم الذاتي، أفرادا أو مجموعات، فلا ينفكون عنها إلا وقد تم استيعاب معانيها وتحليل أفكارها وتقويم أهدافها وترجمتها سلوكا عمليّا لواقع حياتهم.

وفي أسلوبه في التعليم بالقدوة والممارسة العملية، فقد بلغت توجيهاته قمتها، فكان يطلب من أصحابه الإقتداء به ونهج منهجه في معاملة الآخرين، وتعزيز أعمالهم عن طريق ربطها بالأهداف العامة للحياة".[1]

ومنه يمكن إيجاز هذه الطرق التي كان منبعها الرسول صلى الله عليه وسلم، والتي اقتدى بها الإبراهيمي في:[2]

– طريقة تحفيظ القرآن الكريم: كان تدريس القرآن الكريم يتم بطريقة التلقين، بدء بالصورة القصيرة، وكان ذلك التعليم يمر بمرحلة الاستماع والحفظ والفهم، وتحفيظ القرآن ينمي في الاطفال ملكة النطق السليم والقدرة على الحفظ والاستظهار.

– طريقة المناظرة: كانت المناظرة بين التلاميذ والمعلم، أو بين التلاميذ أنفسهم، من الطرق التي ركز عليها المربون، لما لها من أثر في تقوية الحجة وسرعة التعبير والتفوق الفردي والقدرة على الارتجال وترتيب الأفكار وتعميق الثقة بالنفس لدى التلاميذ.

(1) بتصرف: عزت جرادات وآخرون، أسس التربية ، مرجع سبق ذكره ، ص ص 98-99-100.
(2) بتصرف: المرجع نفسه ، ص ص 100-101.

– طريقة المحاضرة: وتميزت هذه الطريقة بعمقها وشمولها للمادة التعليمية، حيث كان المعلم يدون محاضراته ويتكلم عن محتوياتها بأسلوب المتمكن من مادته، ثم يوجه التلاميذ لمناقشة المحاضرة، حيث يشرف تلميذ على قيادة الحوار والمناقشة، فإذا وجدوا معضلة عادوا إلى معلمهم أو مساعديه من المدرسين.

– التطبيقات العملية: يعهد من خلالها المعلم إلى تلميذه في مرحلة من مراحل تعليمه بالقيام بالتدريس تحت إشرافه لفترة زمنية معينة، ليكتسب خبرة عملية وتجربة ميدانية في مجال تخصصه، فالتطبيق العملي يهيئ المتعلم لتحمل المسؤولية والتفاعل في مجال تخصصه وعمله.

وإذا تعمقنا في النظر إلى هذه الطرق والأساليب التعليمية، وجدنا أنها مطابقة لما ذكرناه من قبل؛ أي للطرق التي رآها الإبراهيمي صالحة وصحيحة في نجاح العملية التعليمية، فحسن اختيار الطريقة العلمية إذن أمر ضروري في المنظومة التربوية لا يمكن الاستغناء عنها حتى وإن كانت المعلومات واسعة تفي بالغرض المطلوب، لأن المهم في العملية التعليمية هو طريقة إيصال تلك المعلومات إلى المتلقين وليس المهم كميتها أو كثرتها.

المطلب الثاني: وسائل التعليم عند البشير الإبراهيمي

وُجدت وسائل التعليم منذ القدم، إلا أنها لم تبقى كما هي حديثا نظرا لتطور العلوم والتكنولوجيا، وظهور الآلات والأدوات المتنوعة التي تساعد المعلم أو الإدارة على تعليم أبنائها، ورغم الاختلاف الكبير بين الوسائل التعليمية القديمة والوسائل التعليمية الحديثة، إلا أن نقاط الاتفاق بينهما يكمن في أقدم الوسائل التعليمية التي لم تستطع المنظومة التربوية الحديثة أن تتخلى عنها لأهميتها العظمى في التعليم، ألا وهي السبورة و الطبشور، إذ لا يمكن للمعلم أن يستغني عنها أثناء تقديمه للدروس لأنها وسيلته في كتابة أفكاره وشرحها وتيسيرها للتلاميذ في أبسط صورة، إضافة إلى أقدم وسيلة في التعليم وهي الكتاب المدرسي، والمكتبة والرحلات المدرسية والراديو والأسطوانات والمسابقات، إذ تعد هذه الوسائل من أقدم ما استعملته المدارس منذ ظهورها، وما يهمنا في هذا الجزء من البحث التقصي عن أهم الوسائل التي كانت تستعمل في المدارس الجزائرية قديما عصر محمد البشير الإبراهيمي، فكما نالت المناهج والبرامج اهتمامه، نالت طرق التعليم ووسائله اهتمامه كذلك، فحرص على توفير

ما باستطاعته من وسائل تمكن المعلم من تعليم أبنائه وتزيد في كمّ المعرفة ونوعها عند تلاميذه، فكانت الكتب والمكتبات والرحلات اهم الوسائل التي استعملتها المدارس الجزائرية القديمة.

1/ الكتاب المدرسي:

يعد الكتاب أهم وسائل التثقيف وأعظمها أثرا في تكوين العقليات وأبقاها تمسكا في الذهن، وأمضى الأسلحة مفعولا في النضال الدائم بين العلم والجهل أو بين المدنية و الرّجعية، والكتاب المدرسي من أقدم الوسائل في التعليم وأنفعها، بحيث يشترط في الكتاب الذي يوضع بين أيدي التلاميذ ان يكون منتقى مما يدرّس في عامهم الدراسي وملائما لسنهم وتفكيرهم، يستند إليه المعلم ليقدم ويشرح درسه، ويستند إليه المتعلم ليستوعب ما يقدَّم إليه من العلوم والمعارف المختلفة.

والكتاب المدرسي هو "ذلك الكتاب الذي يشتمل على مجموعة من المعلومات الأساسية التي تتوفر على تحقيق أهداف تربوية محددة سلفا، أو وجدانية أو نفسحركية، وتقدم هذه المعلومات في شكل علمي منظم لتدريس مادة معينة في مقرر دراسي معين ولفترة زمنية محددة".[1]

ويتفق القائمون على التربية والتعليم، في تحديد مضمون الكتب ومحتوياتها، بما يلائم كل مادة من المواد الدراسية المقررة في كل مرحلة من المراحل التعليمية، يضاف إليها الكتب المتنوعة التي تقتنيها الإدارة المدرسية بأموالها الخاصة من الدول المختلفة والتي تساعد المتعلم على اكتساب المعارف والعلوم المتنوعة بتنوع الكتب والمواضيع فيها، وقد انتقت مدارس البشير الإبراهيمي من الكتب المدرسية ما هو أقرب إلى الإفادة وأعون على تحصيل الملة العلمية، وتجنب الكتب الجامدة التي تفتق الذهن ولا تبعث في نفس الدارس نشاطا، ولا تساعد على تكوين ملكة البحث لدى المتعلمين، فنجد على سبيل المثال في القسم الابتدائي والقسم المتوسط، قد قررت كتبا دراسية جزائرية في كل المواد ما عدا التاريخ والجغرافيا، وكانت تختار للمطالعة في مختلف العلوم الكتب الحية السهلة

(1) فايز مراد دندش، اتجاهات جديدة في المناهج وطرق التدريس ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، الإسكندرية ، مصر ، ط1 ، 2003 ، ص 37.

العبارة، الحديثة التأليف، التي تجذب التلاميذ إلى التعليم، وتشوقهم إلى القراءة، وتحببهم في المطالعة، وتغرس في نفوسهم حب العلم والبحث والاستزادة من المعرفة.

ومن الكتب التي اتفق محمد البشير الإبراهيمي وعبد الحميد بن باديس أن يتزوّد بها التلاميذ نذكر:[1]

- كتاب الموطأ في الحديث للإمام مالك بن أنس رضي الله عنه.
- أقرب المسالك.
- الرسالة في الفقه لابن أبي زيد القيرواني.
- ابن عاشر(في الفقه).
- الزندبوي.
- المفتاح.
- التنقيح.
- السّلم.
- المكودي.
- القطر(في القواعد).
- الأجرومية(في القواعد).
- الزنجاني.
- لامية الأفعال.
- السّعد.
- الجوهر المكنون.
- ديوان الحماسة لأبي تمام.
- ديوان المتنبي.
- أمالي القالي.

(1) تركي رابح، الشيخ عبد الحميد بن باديس ، مرجع سبق ذكره ، ص ص 314-315.

– مقدمة ابن خلدون.

2/ المكتبات:

إن المكتبة هي مشحذ العقول ومصقل المواهب ومفتاح النبوغ وطريق إلى العبقرية المبدعة، ومهما كانت المدارس والمعاهد حافلة بمختلف الآلات والأجهزة التعليمية، إلا أنها لا تنفع العقول بقدر ما تنفعها المكتبات، التي تعد المرتع الخصب والميدان الفسيح والجو الطلق الذي يجد فيه المتعلم ضالته.

ولقد كانت الجزائر قديما بلد ثقافي شهد العثمانيين والفرنسيين بوفرة المكتبات والكتب فيها، فقد كانت تلمسان عاصمة علمية مزدهرة بلغت فيها صناعة الكتاب تأليفا ونسخا وجمعا درجة عالية، وكذلك كانت بجاية وقسنطينة ومعسكر، "وقد ذكر "شارل فيرو"أن مكتبة شيخ الإسلام بقسنطينة (عائلة الفكّون) غنيّة لا بالكتب الخاصة بالجزائر فقط، بل حتى بالكتب المتعلقة بالبلاد الإسلامية المجاورة".[1]

وللأهمية العلمية والثقافية للمكتبات كان من الضروري أن تتوفر المدارس والمعاهد والجامعات في القطر الجزائري على مكتباتها الخاصة، فالمكتبة كذلك من أهم وسائل التعليم والتثقيف، تنمو فيها المدارك وتتغذى منها الأحاسيس، وتخلق الرغبة الملحّة في طلب المعرفة والزيادة منها، وتزيد من فضول المتعلم للتنقيب عن عوالم مجهولة لا تستطيع المدرسة أن تسايره للإلمام بها، لولا المكتبة.

"والمكتبة فردوس التلميذ الذي يرتاح إلى ظلّه الظليل، ويستقي من معينه السلسبيل، ويجني من أزهاره الورد الجميل، ويتمتع بأرواح نسيمه البليل...ويقطف منه ما تشتهيه الأنفس وتلذ له الأعين، وهي بستان المعلم الفينان، وناديه المأنوس، ومراده الممرع، يجدد فيه معلوماته لئلا تبلى، ويوسع نواحي تفكيره كيلا تضيق، ويعتاض عما ينفق حتى لا ينفذ المحصول، أو يقل الزاد، فتمنى رحاب العلم بالكساد، وبضاعة الفنون بقلة الرواج".[2]

ولا بد أن تحسن المكتبة اختيار النافع من الكتب، والمفيد من العلوم، والحسن من الآداب والفنون، حتى تطبع التلاميذ بطابع التميز والذكاء بالأخذ من الجيد المختار وترك السيء المبتذل.

(1) بتصرف: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج1 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ط2 ، 1985 ،ص ص 287-288.
(2) أحمد ابن ذياب، رسالة مكتبة المدرسة، البصائر(1949-1950) ، العدد93 ، مرجع سبق ذكره ، ص 27.

وتكمن أهمية المكتبة في أنها وسيلة للمطالعة والاكتشاف، ينتقل فيها المطالع بين رفوف الكتب مختارا لما يريد الاطلاع عليه، حسب رغبته وميوله، ولا بد للكتاب الذي يقدم بين يدي المطالع أن يكون منتقى مختارا، ليخرج المطالع وقد اكتسب فكرة منه أو فيه تهون من النصب الذي لاقاه أثناء المطالعة ولا تتم أخذ الأفكار واستيعابها من مضامين الكتب، إلا إذا كان المطالع في جو من الراحة والمكان الخالي من المزعجات والمثبطات، ليتوجه الذهن إلى ما حواه الكتاب جملة وتفصيلا.

وتقدم المكتبات المدرسية خدمة عظيمة للمترددين عليها تتجلى في :[1]

- تدريب التلاميذ على كيفية استغلال أوقات الفراغ والاستفادة منها.
- استكمال النقص الموجود في جميع المواد المقررة في البرنامج.
- توليد رغبة الاطلاع وغرسها في نفوس التلاميذ.
- تهيئة الفرص المناسبة لتنمية قدرات التلاميذ، وتفتح ملكاتهم.

ومنه كانت المكتبات وسيلة هامة للتعليم تساعد المعلم على اقتناء ما يريد من المعارف والمعلومات وتمكن المتعلم من الاستزادة في العلم الذي لم يحصل عليه كاملا من معلمه.

3-الرحلات:

إنّ الرحلات المدرسية التي تنظمها الإدارة لها أهمية كبيرة في تنمية الطفل و تربيته وتعليمه، فهي وسيلة هامة في التربية والتعليم لما لها من أثار قيمة في النفوس، فهي تكسبها معرفة واطلاعا من خلال المشاهدة والتعرف على مظاهر الطبيعة، واكتساب الخبرات العملية والحسية عن طريق تفاعلها مع تلك المشاهد والمظاهر المتنوعة.

والرحلات ليست بوسيلة جديدة أو طريقة مبتكرة في التعليم، وإنما هي قديمة قدم الانسان، وموجودة بوجود الإسلام الذي أعارها أهمية عظمى عندما حبّذ لنبيه عليه الصلاة والسلام السفر وحثه على الارتحال، بعد أن أمر

(1) علي أوحيدة، الموجه التربوي للمعلمين في اللغة العربية ، مطبعة عمار قرفي ، باتنة ، الجزائر ، ط2 ، 1995 ، ص 13.

القرآن الكريم بالضرب في الأرض وبالتأمل في عوالم الأكوان، لأن الرحلات طريق للتبحر في العرفان واكتساب البدن للصحة، وتهذيب العاطفة، وتربية النفس.

ولا ينبغي أن يقتصر التعليم على تلقين المعارف السطحية الأولية، إنما يجب أن يتعمق في ذلك وأن يعتني بالتربية التي لا توجد دروس فيها أحسن من ولوع التلاميذ بمناظر بلادهم الساحرة، ولا توجد دروس أبلغ في تنمية المعرفة من الدروس التي تعنى بتحليل المظاهر الطبيعية، "ومن الرحلات ما يكسب التلاميذ معرفة بتاريخ بلادهم وأجدادهم من خلال عدولها عن مواطن النزهة الى المواقع التاريخية في الوطن والميادين الأثرية فيه، ليزدادوا تحققا من دروسهم التاريخية، ويزيد فخرهم بكفاح أبناء وطنهم، فينعكس ذلك في روحهم فتقوى فيهم الشجاعة وتبث في روحهم التضحية وتجعلهم ملامس للرشد ومصادر إلهام للتجديد والإنتاج".[1]

إذن فالرحلات هي وسيلة تربوية مهمة للمتعلم، تنمي مهاراته الاستكشافية وتبث فيه روح التعاون والتآلف والتآخي وتحمل المسؤولية.

المبحث الرابع: التعليم وعناصر العملية التعليمية في المنظومة التربوية الحديثة

ارتأينا في هذا المبحث أن نذكر مقارنة طفيفة بين التعليمية التي دعا إليها الإبراهيمي والتعليمية التي تطبقها المنظومة التربوية الجزائرية الحديثة، وذلك بإسقاط العناصر السابقة عند البشير الإبراهيمي من نظرته للتعليم وأركانه المتمثلة في المعلم والمتعلم والمادة التعليمية، إضافة إلى المناهج والبرامج الصالحة في رأيه وطرق التعليم ووسائله المناسبة، على التعليمية الحديثة التي تطبق في المدارس الجزائرية، وذلك للوصول إلى معرفة أصولها مبادئها، إن كانت مستمدة من تعليمية الإبراهيمي أو مقتبسة من تعليمية الدول الأخرى، أم هي جامعة بينهما.

1/ التعليم:

ذكرنا سابقا أن التعليم عند البشير الإبراهيمي هو جهاد في سبيل التحرر والرقي والازدهار، ووسيلة للتخلص من شوائب الأمية والجهل واكتساب العلم الذي تعلى به قيمة الفرد في مجتمعه، وتعلى به قيمة الأمة بين

(1) بتصرف: الصادق حماني، الرحلات المدرسية، البصائر(1949-1950) ، العدد93 ، مرجع سبق ذكره ، ص 32.

الأمم، وهو الطريق الواضح الذي تسلكه الأمة للنهوض من عصر التخلف إلى عصر التقدم والتفتح، ولذلك ينبغي ان تحرص على إيصاله إلى جميع افرادها و تجعله مسايرا لروح العصر ومواكبا لحال المجتمع بدينه وتعاليمه وأسسه ومبادئه، أما التعليم في العصر الحالي فقد اتخذ معنى أوسع بقليل عما كان عليه، فأصبح بمثابة مجهود شخصي لمعونة شخص آخر على التعلم من خلال تحفيز قوى المتعلم العقلية واستثارتها، وتهيئة كافة الظروف المناسبة التي تمكنه من التعلم، أي "هو الفن الذي بواسطته يستطيع المعلم التحفيز والتشجيع على التعلم وتوجيه النمو للمتعلم بما يكفل فيه تطمين حاجاته وتحقيق الغايات والأهداف التي يقصدها"[1]، وبعبارة أخرى هو "فن مساعدة الآخرين على التعلم، بمعنى أنها العملية التي تنبه وتلهم وتثير نشاط الشخص المتعلم على اكتساب نوع جديد من السلوك والخبرة".[2]

وللتعليم أهمية عظيمة في حياة الفرد والمجتمع، نذكر منها:[3]

- يعد التعليم من أفضل المهن الانتاجية لما يحدثه من تطور في القوى البشرية.
- يساهم في اكساب الفرد الإيجابية في المواقف المختلفة.
- أهم عامل يساعد في القضاء على الجهل والأمية.
- بفضله يحقق المجتمع أهدافه القومية (الاجتماعية والاقتصادية والسياسية).
- يساعد في تخريج فرد متعلم يتسق تفكيره مع اتجاهات العصر ويكون أكثر قدرة على استيعاب ثمار المعرفة والاستمتاع بها، إضافة إلى تزويده بخبرة متقدمة تمكنه من القيام بدور يتناسب مع هذه الخبرة في مواقع الإنتاج والعمل في مجتمعه.

2/ أركان العملية التعليمية:

(1) محمود داود سلمان الربيعي، طرائق وأساليب التدريس المعاصرة ، جدارا للكتاب العالمي ، عالم الكتب الحديث ، الأردن ، ط1 ، 2006 ، ص 273.

(2) المرجع نفسه ، ص 274.

(3) بتصرف: حسين عبد الحميد أحمد رشوان ، العلم والتعليم والمعلم من منظور علم الاجتماع ، مؤسسة شباب الجامعة للنشر ، الاسكندرية ، مصر، د.ط ، 2006 ، ص ص 128-131.

2-1/ المعلم:

يُعرّف المعلم في النظرية التعليمية الحديثة على أنه القائد والمرشد والموجه والمصلح، ومورد العلم والمعرفة والركن الأساسي في عملية التعليم التي لا تنجح إلا بوجوده، "يقوم بدور الأبوين في تكوين الذات العليا أو الضمير للصغار وتنمية الشخصية، وهو يلعب دورا في الأخذ بيد الطفل أثناء نموه ونمو عقله وحواسه الخمسة وصحته النفسية...وهو يحقق النضج الانفعالي للطفل وتقبّل اتجاهاته ويسعى لوصول الطفل إلى التوافق الشخصي والاجتماعي"[1]، وقد أصبح الإيمان بأهمية المعلم ودوره القيادي في العملية التعليمية أحد الأسس التي تقوم عليها التربية الحديثة، إذ لا يمكن الاستغناء عنه أو استبداله بأي وسيلة كانت مهما تطورت تكنولوجيا التربية.

فالمعلم يقوم بتلقين التلاميذ المعلومات اللازمة، واكسابهم المهارات، وتزويدهم بالخبرات الضرورية، وما يلاحظ على المعلم في العصر حديث أنه يهتم بعملية تلقين المعلومات للتلاميذ دون أن يراعي إن كانت قد وصلت إلى اذهانهم وتمكنوا من فهمها واستيعابها أم لم يستطيعوا فعل ذلك، وبما أن النظرة الحديثة للتعليم التي تقر بأنه لم يعد عملية نقل للمعلومات فحسب، إنما هو نشاط مخطط له يرمي إلى تحقيق نتائج تعليمية محددة في ضوء حاجة المجتمع ومستلزمات تقدمه و أولوياته، فإنه حسب هذه النظرة لم يعد المعلم ناقلا للمعرفة وإنما مخطط وموجه ومدبر لعملية التعليم، ولكي يحقق تلك النتائج والمخرجات التعليمية لا بد له من:[2]

- معرفة إمكانيات المتعلمين واستعداداتهم.
- معرفة إمكانيات المؤسسة التعليمية.
- معرفة أهداف التعليم للمادة التي يتولى تعليمها.
- الإحاطة باستراتيجيات التعليم ووضعها للاستفادة منها في تحقيق أهداف التعليم.
- الإحاطة بأساليب التعليم وطرائقه لوضعها موضع التطبيق في التعليم.

(1) حسين عبد الحميد أحمد رشوان، العلم والتعليم والمعلم من منظور علم الاجتماع ، المرجع السابق ، ص 181.

(2) محسن علي عطية، تدريس اللغة العربية في ضوء الكفايات الأدائية ، دار المناهج للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، ط1 ، 2007 ، ص 27.

وينبغي على المعلم أن يكون ملما بمجموعة من الصفات والميزات والمهارات التي تمكنه من إتقان عملية التعليم باعتبارها الصنائع المتميزة في المجتمع وفي حياة الإنسان، ومن ابرز هذه الصفات والميزات والمهارات ما يلي:[1]

1- الإلمام بفن التدريس من حيث الجمع بين الطريقة والمادة، فيكون المعلم متعمقا في مادته ومتمكنا منها، وملما بطرق تدريسها للناشئة، وهذا يتطلب إلمامه بنفسية المتعلمين ودرجة استعدادهم ومواهبهم.

2- القدرة على التدريس اللفظي مع استخدام وسائل الإيضاح اللازمة والمناسبة لتوضيح المادة، ووضعها في مواقف مناسبة تقوم على التدرج والتكرار في شرح محتوى المادة.

3- القدرة على تهذيب الأطفال والمتعلمين من خلال المعاملة الحسن، والتفاهم دونما إفراط، فتكون المعاملة مبنية على توازن في اللين والقسوة بما يحفظ على المتعلمين شخصيتهم ونفسيتهم في الإقبال على التعليم والتعلم بشوق ورغبة.

4- استخدام القدوة الحسنة في التعليم، فيكون المعلم قدوة حسنة لتلاميذه باعتبار القدوة العملية انجح الوسائل إلى تعليم الاخلاق وغرس اصول الفضائل في النفوس، فالأطفال يتأثرون بالتقليد والمحاكاة والمثل العليا التي يرونها، أكثر مما يتأثرون بالنصح والإرشاد.

5- التمكن من استخدام اللغة الأصلية للمتعلم، إذ يرى ابن خلدون أن التعليم ينبغي أن يكون باللغة الأصلية للمتعلم، فيرى أن الدرس باللغة الأجنبية إنما هو نصف درس، وهذا يختلف عن تدريس اللغة الأجنبية كمادة دراسية، إذ لم يتعرض لها ابن خلدون.

ويمزج المعلم عند تقديمه للعلم والمعرفة، بين مهاراته وخبراته التعليمية وبين ما تقتضيه المنظومة التربوية من حسن السير على البرامج والمناهج المقررة لضمان الجودة و المردودية الحسنة في التعليم، ولذلك وجب على المعلم أن يتقيد

(1) عزت جرادات وآخرون، أسس التربية ، مرجع سبق ذكره ، ص ص 117-118.

بالواجبات التي سطرتها له الإدارة التربوية ويحرص على تأدية مهامه على اكمل وجه، وتتمثل مهام المعلم وأدواره في التعليم فيما يلي:[1]

1- التمكن من المادة التي يتولى تدريسها، وكل ما يتصل بها من تطور وتجديد، وبمصادرها وكيفية الاستفادة منها وطرائق البحث فيها، والإحاطة بالآراء والاتجاهات المتصلة بها وما يحتاجه المتعلم منها.

2- التمكن من تحديد أهداف المادة واستجابتها لمتطلبات التطور ومقتضيات المادة وحاجات المتعلمين وإمكانياتهم وطبائعهم واستعداداتهم.

3- وضع الخطط التدريسية موضع التنفيذ ويتطلب ذلك من المدرس التمكن من طرائق التدريس وأساليبها، وتحديد الوسائل المعينة في تقديم المادة الدراسية، والإحاطة بكل ما توصلت إليه تكنولوجيا التعليم من وسائل وتقنيات حديثة، بالإضافة إلى قدرته على تقديم هذه التقنيات وتحديد مستوى فاعليتها في التدريس، مع تقديم المقترحات اللازمة لتطوير الاستفادة منها وتكييفها لخدمة العملية التعليمية.

4- تحقيق أهداف المنهج من خلال وضع الخطط والطرائق وما تستند إليه من نظريات تعلم موضع التطبيق، وتحويلها من خطوات إجرائية نظرية إلى ممارسة عملية يؤديها المعلم من تكلف أو تصنّع.

5- تحديد طبيعة المتعلمين وخصائصهم ومستوى نضجهم واستعداداتهم التعليمية، وانفعالاتهم وخلفياتهم السلوكية والفروق الفردية الموجودة بينهم.

6- التمكن من تنظيم التفاعل اللفظي بينه وبين الطلبة في التدريس لاعتباره وسيلة اتصال مهمة بين المعلم والمتعلم، مما يوجب على المعلم إتقان مهارات الاتصال اللفظي واستخدامها بكفاءة عالية في عملية التدريس.

7- التمكن من إدارة الصف، باعتبار تنظيمه وجعله بعيدا عن الأسلوب التسلطي أو الأسلوب السائب من وسائل نجاح الدرس.

(1) بتصرف: محسن علي عطية، تدريس اللغة العربية في ضوء الكفايات الأدائية ، مرجع سبق ذكره ، ص ص 28-29-30-31-32-33.

8- تقويم عملية التدريس من خلال استخدام أساليب قياس وتقويم مختلفة، لقياس ما تم تحقيقه من أهداف التدريس.

9- توفير المناخ النفسي والاجتماعي المطلوب؛ أي توفير الجو المتّسم بالمودة والرحمة بين المدرس والطلبة، وبين الطلبة أنفسهم، ويعد هذا الدور بالتحديد من الأدوار الرئيسية للمعلم التي لها أثر في زيادة التعلم، وتزويد المتعلمين ببعض القيم والاتجاهات التي هم بحاجة إليها في الحياة.

10- التحكم في الوقت واستغلاله لتوجيه العملية التعليمية، بدلا من إلقاء المعلومات.

11- التقليل من إلقاء المحاضرات والتقليل من تحضير الامتحانات التقليدية.

ولعل الشيء الملفت للانتباه، أن ما قاله المعلم البشير الإبراهيمي ينطبق تماما إلى ما تدعو إليه التعليمية الحديثة التي أولت أهمية بالغة لشروط المعلم، يقول مجدي عزيز إبراهيم: "لا تقتصر معرفة المدرس للمواد الدراسية على مجرد جمع المفاهيم والتعميمات والحقائق والقوانين التي تتضمنها هذه المواد، بل هي أشمل من ذلك بكثير، لأنها تنطوي على فهم أعمق، وعلى قدرة على الربط بين تلك المفاهيم والتعميمات والحقائق لاستنتاج مجالات وتطبيقات جديدة للمعرفة".[1]

فإذا كان العلامة الإبراهيمي يدعو المعلمين إلى ضرورة الاستزادة من العلم وإلى الفهم والتحليل، فإن هذا ما تدعوا إليه التعليمية التي جعلت الفهم وقدرة الربط بين الظواهر العلمية أمر ضروري للفهم العميق، ففنيات التدريس "تعتمد بالدرجة الأولى على المعلم المؤهل تربويا وعلميا والحامل للمواصفات التربوية والنفسية والاجتماعية والفعلية والخبرة التي تقرر صلاحيته أن يكون مربيا، إضافة إلى استعداده لممارسة التعليم وحبه لها...وعلى هذا المعلم أن يتلقى التدريبات لضمان مواكبته للتطور الذي يطرأ على المنهج وطرائق التعليم...".[2]

ونجد كذلك أن الإبراهيمي قد دعا إلى مهارة المعلم من جهة وحسن علاقته مع المتعلمين من جهة أخرى، وهما بعدان تربويان فعالان قد ذكرهما مجدي عزيز إبراهيم الذي يرى ان الأصول التربوية الفاعلة تقوم على بعدين

(1) مجدي عزيز إبراهيم، تنمية تفكير المعلمين والمتعلمين ، مرجع سبق ذكره ، ص 305.

(2) صالح بلعيد، دروس في اللسانيات التطبيقية ، دار هومة ، الجزائر ، ط7 ، 2012 ، ص 72.

هما "مهارة المدرس وبراعته في خلق الإثارة العقلية والفكرية لدى التلاميذ ، تؤثران إيجابا في نوعية التعليم ، والصلة الإيجابية بين المدرس والتلاميذ وأنماط العواطف والعلاقات التي تثير دافعية التلاميذ لبذل أقصى ما في وسعهم في الدراسة، لها دور في جعل التدريس أكثر كفاية وإنتاجية".[1]

فمن الواضح إذن أن الإبراهيمي قد اهتم بالمعلم وأولاه عناية كبيرة باعتباره مربي الأجيال، ومصقل الأذهان ومخرجهم الوحيد من الجهل إلى العلم، ومن السبات إلى اليقظة، فعلى يديه تتكون الناشئة وتتربى مستعدة للحياة، ولتحقيق ذلك وضع له من الواجبات والصفات والمهارات ما يمكنه من الوصول إلى غاياته ومطالبه، وهي نجاح العملية التعليمية، وقد اهتمت بذلك التعليمية الحديثة ولكنها تخلفت عن اهم المبادئ في التعليم، وأصبح الالتزام بها عند القلة القليلة من المعلمين، ألا وهي التربية قبل التعليم.

2-2/ المتعلم:

هو المكون الثاني للعملية التعليمية وأهم قطب فيها باعتباره المستقبل والمتلقي الوحيد لما يقدمه المعلم، ومن ثم اشترطت التعليمية الحديثة الاهتمام به من خلال:[2]

- معرفة قابليته الذاتية في اكتساب المهارات والعادات اللغوية، فلا يصب المعلم جل اهتمامه على تلقين المادة التعليمية، بل عليه مراعاة نفسية المتعلم وميوله وعدم الضغط عليه.

- تعزيز آلية المشاركة لدى المتعلم من طرف المعلم، وتحسين علاقته بالتحصيل والاكتساب، وهو ما ينمي رغبته في المشاركة والتفاعل، ومن ثم تحسين مستواه الدراسي.

- مراعاة الفروق الفردية للمتعلم (العضوية و النفسية و الاجتماعية) ومدى انعكاسها على المردود البيداغوجي؛ أي على المعلم أن يتعامل مع كل تلميذ على أنه وحدة فريدة، فمهارات التلاميذ وميولاتهم وقدراتهم تختلف باختلاف المؤثرات النفسية والبيئية.

---

(1) مجدي عزيز إبراهيم، تنمية تفكير المعلمين والمتعلمين ، المرجع السابق ، ص ص 304-305.

(2) بتصرف: أحمد حساني، دراسات في اللسانيات التطبيقية، حقل تعليمية اللغات ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الساحة المركزية بن عكنون ، الجزائر، ط2 ، 2009 ، ص 42.

- تذليل الصعوبات التي تعوق سبيل المتعلم باستعمال الوسائل السمعية البصرية.

وكما اشترطت المنظومة التعليمية الاهتمام بالمتعلم، طالبته كذلك بقواعد ينبغي له ان يلتزم بها منها: [1]

- إحضار الأدوات التي يحتاجها في الفصل حتى يكون مستعدا للعمل.

- الجلوس في المقعد استعدادا للتعلم و إنصاتا للمعلم.

- احترام الآخرين والتأدب معهم.

- المحافظة على حجرة الدراسة من حيث النظافة واحترام ملكية الغير، لا يلقي شيئا على الأرض ولا يكون مصدرا لاتساخ حجرة الدراسة، ولا يأخذ ما ليس ملكا له.

وقد ذكرنا سابقا أن الإبراهيمي اهتم بالمتعلم اهتماما كبيرا باعتباره رجاء الأمة وآمالها، واساس بناء نهضتها، فوجّه إليه مقالات نيّرة تدعوه إلى التعلم والرحلة في طلبه، والجهاد في سبيله لتنفتح له الآفاق وتتضح له السبل، وفي مقابله قيّدت التعليمية الحديثة المتعلم ببعض الواجبات وطالبته بالعلم، غير انها تخلت عن البعثات العلمية التي كان الإبراهيمي يقوم بها، فاصبحنا لا نرى تحفيزا وتشجيعا للتلاميذ وبعثهم للاستزادة من العلم إلا في القليل النادر.

2-3/ المادة التعليمية:

تعد المادة التعليمية العنصر الثالث إلى جانب المعلم والمتعلم، فهي وسيلة التواصل بينها، وتسمى محتوى التعليم، والمقصود بالمادة التعليمية حسب "محمد الدريج" هي "كل الحقائق والأفكار التي تشكل الثقافة السائدة في مجتمع ما وفي حقبة معينة، إنها مختلف المكتسبات العلمية، الأدبية، الفلسفية والدينية والتقنية وغيرها مما تتألف منه الحضارة الإنسانية وما تزخر به الثقافات الشعبية المحلية في كل البقاع، والتي تصنف في النظام الدراسي إلى مواد مثل: اللغة والحساب والتاريخ والجغرافيا...إلخ، على أن اختيار مادة دون أخرى أو قسطا منها دون سواه يتم بناءً

(1) بتصرف: حسين عبد الحميد أحمد رشوان، العلم والتعليم والمعلم من منظور علم الاجتماع ، مرجع سبق ذكره ، ص ص 208-209.

على الغايات والأهداف المتوخاة، في حين يبقى تنظيم المحتوى رهينا بمتطلبات العملية التعليمية ذاتها وبأشكال العمل الديداكتيكي أي ما يصطلح على تسميته بطرائق التدريس".[1]

بمعنى أن المحتوى أو المادة التعليمية هي مجموعة من المعلومات والمعارف في مختلف الميادين اللغوية وغير اللغوية والفروع والمجالات التي تشكل وتميز ثقافة مجتمع معين، وهذا المحتوى يقسم إلى مواد يتم اختيارها بناءً على التقسيمات والتعاريف الموجودة أصلا في هذه المواد، ويكون اختيار المواضيع الدراسية وتوزيعها على المستويات والسنوات اختيارا يتماشى مع هذا التقسيم.

ومن الملاحظ أن العلامة محمد البشير الإبراهيمي قد اهتم سابقا بالمادة التعليمية التي تلقى للمتعلمين وعالجها من جميع الجوانب، فلم يكتف بفنون اللغة العربية وآدابها، بل اهتم بكل العلوم من رياضيات وتاريخ وجغرافيا وطب وعلم النفس... على أساس أنها علوم مهمة لا يمكن التغاضي عنها بغية مسايرة روح العصر، ودعا إلى توحيدها بين المدارس لتأخذ طابع الشمولية وحرص على أن يكون متنها زاخرا بتعاليم القرآن الكريم.

3/ المناهج التعليمية:

ذكرنا في الفصل الأول أن المناهج المتبعة في المنظومة التربوية الجزائرية بعد الاستقلال إلى يومنا هذا ثلاث مناهج متمثلة في: المناهج التقليدية، والمقاربة بالأهداف، والمقاربة بالكفاءات.

فالمنهج التقليدي محور اهتمامه هو المعلم الذي يقوم بنقل المعارف إلى عقول التلاميذ، فيكون دور المعلم بذلك دورا إيجابيا، أما دور التلميذ في معظم الأحيان فيكون سلبي، فهو غير مطالب بتوجيه الأسئلة أو إبداء الرأي لأن المعلم هو المصدر الوحيد للمعرفة بالنسبة للتلميذ، ونظرا لتغير المفاهيم وتطور العلم وتزايد الطلب على تطوير المناهج بما يتناسب وثقافة المجتمع وتطورات العلوم، ظهر منهج المقاربة بالأهداف الذي يهتم بالكم والتراكم المعرفي ويعتمد على الهدف كأداء قابل للقياس عندما يصاغ بطريقة إجرائية؛ أي بفعل سلوكي قابل للمعاينة، كما تضع المقاربة بالأهداف نجاح المتعلم داخل إطار محدود هو المدرسة أو المؤسسة المكونة، ومحتوى ذاكرة المتعلم،

(1) جميل حمداوي، مكونات العملية التعليمية التعلمية ، نشر في الاتحاد الاشتراكي يوم 03-09-2014م ، عن الموقع الالكتروني https://www.maghress.com/alittihad ، 25-04-2016م.

وبعد هذا المنهج ظهر منهج المقاربة بالكفاءات كامتداد للمنهج السابق وتمحيص لإطاره المنهجي والعلمي والذي يضع المتعلم مركز العملية التعليمية التعلمية، فينتقل من دائرة التعليم إلى دائرة التعلم الموجّه، فيكتسب المهارات والقدرات التي يحتاجها في حياته ما بعد الدراسة، وما المعلم فيها سوى مشرف ومقوّم لسلوك المتعلم.

ويمكن تبسيط مضامين هذه المناهج من خلال الجدول التالي:[1]

(1) بتصرف: توفيق أحمد مرعي، محمد محمود الحيلة، المناهج التربوية الحديثة ، مفاهيمها وعناصرها وأسسها وعملياتها ، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة ، عمان ، الأردن ، ط4 ، 2004 ، ص ص 34-35.

المنهج التقليدي	منهج المقاربة بالأهداف	منهج المقاربة بالكفاءات
المزايا: – احترام منطق المادة. – اكتشاف المعارف. – اكتساب فن الإصغاء. النقائص: –النقص الكبير في الاهتمام بالمواقف والقدرات. – عدم الاهتمام بمنطق التعليم. – عدم مساعدة المعلم في اختيار استراتيجية التعليم/التعلم. – إغفال استخدام الوسائل التعليمية التعلمية. – التعامل مع التلميذ باعتباره فردا مستقلا، لا فردا في إطار اجتماعي متفاعل. – إهمال البيئة الاجتماعية للمتعلم، وعدم عدها من مصادر التعلم. – عدم مراعاة المعلم للفروق الفردية بين التلاميذ.	المزايا: –وضع التعليم في مركز فعل التعليم/ التعلم –تجسيد الأهداف في شكل سلوكات قابلة للملاحظة. – تمكين المعلم من حصر الأهداف والأغراض بكيفية أفضل. – تسهيل اختيار الأنشطة والوسائل التي يجب استغلالها. – تمكين المتعلم من معرفة وجهته وماذا ينتظر منه. –تحديد معايير واضحة لتقويم نشاط المتعلم مع سهولة اختيار الأدوات. النقائص: – صعوبة صياغة كل الأهداف. – الاهتمام أكثر بالجانب المعرفي. – النقص في التنسيق بين المواد. – التركيز على الطريقة أكثر من المحتوى. – تهميش كفاءات المعلم والحد من مبادراته وحريته. – عدم الاهتمام بالمتعلم وحاجياته.	المزايا: –وضع المتعلم في مركز التعليم/التعلم –الاهتمام بوضعيات إدماجية تحفيزية. – ضمان تحقيق الأهداف العامة وغايات التربية. – تجنيد مجموعة من المكتسبات المدمجة وليست المتراكمة. – التميز ببعد اجتماعي من خلال إعداد الفرد للحياة. – توفير الظروف والشروط الملائمة للتعلم. – استخدام وسائل تعليمية تعلمية متنوعة. –مراعاة المعلم للفروق الفردية بين التلاميذ. – تشجيع الطلبة على التعاون في اختيار الأنشطة وطرق ممارستها. – عدم إهمال القيمة الاجتماعية للمتعلم وعدها من مصادر التعلم. – التعامل مع التلميذ باعتباره فردا اجتماعيا متفاعلا. النقائص: –الاهتمام أكثر بوضعيات براكماتية نفعية. –التوجه نحو احترافية فعل التعليم/التعلم.

وقد مزجنا في هذا الجدول بين ما وجدناه في كتاب المناهج التربوية الحديثة لتوفيق أحمد مرعي ومحمد محمود الحيلة، وبين ما وجدناه في دليل المعلم الذي سطّرته له المنظومة التربوية الجزائرية.

ولم يختلف منهج الإبراهيمي عن هذه المناهج التربوية التي دعت إليها التعليمية الحديثة، فكان يهدف من خلال نصائحه التي قدمها للمعلمين من مراعاة نفسية التلاميذ ومعرفة حاجاتهم وقدراتهم التعلمية، والعطف عليهم والتقرب منهم، ومراعاة ظروفهم الاجتماعية وبيئتهم الثقافية المتأثرة بثقافة المجتمع ومشاكله وحالاته المختلفة، إلى بناء الشخصية السوية وإعداد الافراد للحياة الحاضرة والمستقبلية من خلال تثقيف عقولهم وسلوكهم، وتقوية أبدانهم وتنمية مواهبهم، وذلك كلّه بتنشئتهم وفق إرادة المجتمع بأسلوب ملائم لمجريات العصر ومنسجم مع حاجات الأجيال المتجددة.

والمطلع على مضامين المناهج التعليمية الجديدة يلاحظ أنها تراعي كفاءات التلاميذ وقدراتهم الخاصة، كما تسطر أهدافا تسعى لبلوغها وتزود المتعلم بمختلف المعارف والعلوم المتنوعة بغية تطوره وتنمية عقله بالعلم والمعرفة، غير أنها من جهة قد تخلت عن اهم منهج في التعليم، ألا وهو القرآن والسنة النبوية، فخالفت بعض الشيء ما نصح به الإبراهيمي المعلمين من ضرورة إتباع القرآن الكريم والسنة النبوية منهاجا شاملا في التعليم لما فيهما من المبادئ والأحكام والأخلاق والفضائل التي تكون الشخصية السليمة القويمة في العقل والبدن والعقيدة.

4/ طرق التعليم:

تعرف الطريقة على أنها "إجراء منهجي منظم ومهيكل يسعى إلى مساعدة التلميذ في فعله التعلمي، لأنها ترتكز على تلك العلاقة الموجودة بين المعلم والمتعلم، وعلى ذلك الإجراء المنظم على شكل تقنيات واستراتيجيات ووسائل بيداغوجية بغرض تحقيق أهداف العملية التعليمية".[1]

وطرائق التعليم متنوعة يستخدمها المعلم لتدريس أكثر من مادة دراسية قصد تزويد التلميذ بالمعلومات التي يمكن أن تفيده في الميدان التعليمي والميدان العلمي، وطرق التدريس المعروفة حديثا هي:

(1) عزيزي عبد السلام، مفاهيم تربوية بمنظور سيكولوجي حديث ، دار ريحانة للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ط1 ، 2003 ، ص 123.

4-1/ الطريقة الإلقائية أو الإخبارية:

هي طريقة تقليدية يقوم بها المدرس عن طريق إلقاء المعلومات على التلاميذ بأسلوب المحاضرات أو الإملاء، حيث يكون المعلم فيها مصدر المعرفة ويكون عقل الطالب وعاء تفرغ فيه المعلومات؛ أي "صفحة بيضاء تنقش عليها المعلومات"[1]، ورغم شيوع الطريقة الإلقائية إلا أنها "لا تعمل على إيجاد العلاقة بين المعلم والمتعلم حيث تتجاهل العمل بطريقة الأخذ والرد، ومن هنا عدت من الطرائق التي لا يمكن الاعتماد عليها في المنظومات التربوية...كونها تجعل المتلقي سلبيا من عملية التعلم، وهذا ما يمنعه من اكتساب المهارات".[2]

4-2/ الطريقة الحوارية:

"تقوم هذه الطريقة على الحوار، فالمعلم لا يتكلم وحده بل يكون هناك تفاعل متبادل بين المعلم والمتعلم عن طريق المناقشة والحوار لموضوع ما، فيسأل المعلم الطلاب ويسمع منهم الأجوبة المختلفة لأجل التدريب على التخمين والحدس الذهني لتنمية الجوانب العقلية، وبما أن هذه الطريقة تعتمد على الأسئلة فيشترط لنجاحها أن تكون واضحة بسيطة، تساعد هذه الطريقة على كسر الجمود ودفع الملل وإثارة الدافعية للتعلم، كما تفسح المجال أمام المدرس لتنمية انتباه الطلبة وتفكيرهم المستقل".[3]

4-3/ الطريقة الاستقرائية أو الاستنباطية:

تساعد هذه الطريقة التلاميذ على معرفة الحقائق والأحكام العامة من خلال دفع التلميذ إلى البحث والاستنباط و الاستقراء ، تنطلق من الجزئيات العامة لتصل إلى القواعد العامة ؛ أي هي "انتقال الفكر من الوقائع والحالات المفردة إلى القوانين والقواعد العامة التي تنظم تلك الوقائع والحالات".[4]

(1) محمود داود سلمان الربيعي، طرائق وأساليب التدريس المعاصرة، مرجع سبق ذكره ، ص 49.
(2) صالح بلعيد، دروس في اللسانيات التطبيقية ، مرجع سبق ذكره ، ص ص 58-59.
(3) بتصرف: المرجع نفسه ، ص 62.
(4) محمد مزيان وآخرون، قراءات في طرائق التدريس ، د.د ، باتنة ، الجزائر ، ط1 ، 1994 ، ص85.

وبفضل الطريقة الاستقرائية "يتعود التلميذ على التفكير السليم المنطقي والاعتماد على النفس في الكشف عن الحلول وكذلك حب البحث".[1]

4-4/ الطريقة التلقينية:

"يقصد بالتلقين ذلك التعليم التلقيني المستعمل لتلك الطريقة التي يقع فيها الاعتماد الكلي على المعلم، وفي هذه الطريقة يكون الطالب (المتعلم) سلبيا، لأن المعلم يعرفه كل شيء والطالب يحفظ ويستذكر ويستظهر، إلا أن هذه الطريقة تعمل تارة على أن تحل المشكلات الصعبة، حيث يتدخل المعلم بتلك الحلول التي يقف الطالب عندها عاجزا، ومن هنا يرى بعض الخبراء أن هذا التعلم هو الذي يحصل فيه الطالب على هدف تعليمي بمساعدة محددة من المعلم أو بدون مساعدة ويتم فيها إعطاء المبادئ وحلول المشكلات من قبل المعلم".[2]

4-5/ الطريقة القياسية أو الاستنتاجية :

وهي "انتقال الفكر من الحقيقة العامة إلى الحقيقة الجزئية، أو من الكل إلى الجزء، وهي إحدى الطرق التي يتبعها العقل في الوصول من المعلوم إلى المجهول، فالمعلم يبدأ بذكر قاعدة أو تعريف أو مبدأ عام، ثم يثبته بالأمثلة التي تنطبق عليه"[3]، وهي عكس الطريقة الاستقرائية؛ أي انتقال الذهن فيها يكون من القاعدة العامة إلى الأفكار الجزئية.

ومن الملاحظ أن هذه الطرق قد تحدث عنها الإبراهيمي ونصح المعلمين باتباعها، وقد أضاف عليها اتباع طرق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم في التعليم والمتمثلة في طريقة تحفيظ القرآن الكريم، وطريقة المحاضرة وطريقة المناظرة، وطريقة التطبيقات العملية وهي ما كنا قد ذكرناه سابقا في طرق التعليم عند الإبراهيمي، داعيا إلى التركيز في هذه الطرق على العلم المفيد والتربية الفاضلة.

(1) صالح بلعيد، دروس في اللسانيات التطبيقية ، المرجع السابق ، ص 62.

(2) المرجع نفسه، ص 61.

(3) محمد مزيان وآخرون، قراءات في طرائق التدريس ، المرجع السابق، ص ص 84-85.

5/ وسائل التعليم:

تساعد الوسائل التعليمية على توصيل الخبرات الجديدة من المعلم إلى المتعلم بطرقة أكثر فاعلية، وقد جاءت أهمية الانشغال بتطوير الوسائل والتقنيات التعليمية كمحاولة لاسترجاع هيبة المدرسة التي عرفت تدهورا كبيرا في السنوات الأخيرة، مما جعل المنظومة التربوية تُدخل ضمن المقررات الدراسية بعض الوسائل الحديثة المبتكرة دون إهمال الوسائل التقليدية، ووسائل التعليم كثيرة ومتنوعة نذكر منها:

5-1/ السبورة:

تعد السبورة أول وسيلة اعتمد عليها في التعليم بمختلف مراحله، وهي المساعد الأول للمعلم في إعطاء الدروس وشرحها، كما تتوجه أعين التلاميذ إليها لانتظار ما يقدمه المعلم من مختلف التمارين والتطبيقات الموجودة في الكتاب المدرسي، فهي بذلك خير معين على تطبيق طريقة التعليم الجماعي لأنها تلفت أنظار التلاميذ وتشد انتباههم، كما أن السبورة من الوسائل القديمة التي لا زالت تستعمل إلى يومنا هذا في جميع المراحل التعليمية وذلك لدورها الكبير وقلة تكاليفها وسهولة الحصول عليها.

5-2/ الكتاب المدرسي:

يعد الكتاب المدرسي من الوسائل الضرورية المهمة لكل من المعلم والمتعلم، فمنه يحضر المعلم دروسه ومنه ينجز المتعلم واجباته المنزلية، والكتاب المدرسي "هو المعجم أو الإناء الذي يحوي المادة التعليمة التي تعمل على تغيير سلوك المتعلم...كما أنه مصدر لغة التلميذ...وتكمن أهميته في أنه يقدم للمتعلمين المواد الدراسية بشكل مبسط وممنهج لتحقيق أهداف المنهاج، إضافة إلى ما يوفره من الحد الأدنى من المعارف والمعلومات والخبرات لكل متعلم في مستوى دراسي معين، ووظيفته تتجاوز تأسيس عادات القراءة والمطالعة إلى إنماء الميل للتثقيف الذاتي...ومنه كان من الضروري بناءه وفقا لفلسفة التربية الحديثة والتي تستهدف تنمية شخصية المتعلم وتعمل على توفير أدوات التوافق الاجتماعي والثقافي والفلسفي، بالتركيز على الأساس السيكولوجي والعلمي".[1]

(1) بتصرف: صالح بلعيد، دروس في اللسانيات التطبيقية ، مرجع سبق ذكره ، ص85.

5-3/ الراديو:

ليس الراديو بوسيلة جديدة في التعليم إنما هو قديم قدم التعليم، ويستعمل في المدرسة لبث برامج ترتبط موادها بالمنهج الدراسي وتعطي دروسا لها مساس ببرنامج اليوم المدرسي، ويهدف الراديو إلى مساعدة المتعلمين على تنمية قدراتهم ويحفزهم على المشاركة والتدخل للنقاش حول المواضيع التي تبثها برامجه، كما ينمي معارفهم وثقافتهم ويزودهم بمختلف الخبرات والمهارات اللازمة.

5-4/ الأسطوانات:

تساعد الأسطوانات في تقديم بعض الدروس وبخاصة التربية الموسيقية، إذ تكون معينا قويا للفهم، كما تجنب المعلم الوقوع في المواقف الحرجة خاصة في تحفيظ الأناشيد للتلاميذ، وتتميز بالبساطة في الاستعمال والسهولة في نقلها من مكان لآخر، ولا تستعمل الأسطوانات داخل القسم فقط بل تحتاجها المدرسة أيضا في مختلف الظروف والمناسبات وخاصة في مجال المسابقات.

5-5/ المسابقات:

هي نوع من التمارين تجري تحت إشراف المعلم، وتكون المنافسة فيها بين تلاميذ القسم الواحد، تعطى من وقت لآخر لكل أسبوع أو كل شهر، وهي مجال لاستعراض قدرات التلاميذ ومدى فهمهم للمواد الدراسية.

5-6/ الأنترنيت:

تعد شبكة الأنترنيت من أحدث الوسائل التعليمية والتي جعلت العالم بأجمعه قرية صغيرة يستطيع كل مشترك فيها التفاعل مع أفراد آخرين، حيث فتحت المجال أمام تطبيقات عديدة من بينها التعلم التعاوني والفصول الدراسية التعليمية عبر المكاتب الرقمية، التدريب المستمر في الميادين المختلفة لضمان التعليم المستمر.

5-7/ الرحلات:

هي وسيلة تربوية مهمة للمتعلم ونشاط علمي تعلمي هادف يتم خارج جدران الصف، تعمل على إثراء

العلاقات الاجتماعية بين البيئة والمدرسة، واستثارة اهتمام التلميذ وإشباع حاجته للتعلم وتنمي مهاراته الاستكشافية مع تنمية الوعي السياحي وبث روح التعاون، وتحمل المسؤولية.

5-8/ الحفلات:

تعمل على الرفع من همم المتعلمين وحماسهم، وتعمق المحبة وتذوب الحواجز، إضافة إلى أنها تكسر الخجل والانطواء وتشجع الميولات والمواهب.

5-9/ الحاسوب:

إن جهاز الحاسوب هو آلة إلكترونية تسمح باستقبال المعلومات المختلفة ومعالجتها بطريقة أوتوماتيكية منطقية وتخزينها للعودة إليها أثناء الحاجة، فهو "وسيلة جد ناجحة حالة استغلالها في ميدان تعلم اللغات أو استعمالها في ميادين عامة"[1]، كما يساعد الحاسوب المعلمين على إيصال مقاصدهم إلى المتعلمين بيسر من خلال ربط الدرس بالصورة المناسبة له لتسهيل عملية ترسيخها في ذهن المتعلمين، كما أنه وسيلة تربوية تساعد على "تعليم اللغات الوطنية واللغات الأجنبية على حد سواء، وتأتي دروسه مدعمة لدروس المدرسة، وهكذا تتجه الدراسات العصرية إلى التخلي نوعا ما عن المعلم، وذلك باستخدام وسائل التقنية الحديثة عن طريق التلفاز واستخدام الحاسب الآلي".[2]

وقد أشرنا سابقا إلى بعض هذه الوسائل عند البشير الإبراهيمي وهي الكتب والمكتبات والرحلات وعدم الاستغناء على السبورة واستعمال الراديو والأسطوانات في بعض الأحيان، مع إجراء الامتحانات و المسابقات في جميع المواد والمراحل والأطوار الدراسية، ونظرا لظروف الاستعمار عصر البشير الإبراهيمي وضعف التكنولوجيا مقارنة بالعصر الحالي، لم تكن الأنترنيت و الحاسوب وغيرها من الوسائل المستحدثة موجودة في عصره وإنما عوضتها الرحلات والكتب التي تحمل من الإيجابيات ما لا تحمله الوسائل الحديثة التي تطغى سلبياتها إيجابياتها.

(1) صالح بلعيد، دروس في اللسانيات التطبيقية مرجع سبق ذكره ، ص 107.
(2) المرجع نفسه ، ص 110.

خاتمة الفصل:

كخلاصة لهذا الفصل التي تطرقنا فيه إلى إسهامات العلامة الجزائري البشير الإبراهيمي وجهوده الجبارة في التعليم الجزائري اتضح لنا أن التعليم في نظر الإبراهيمي شيء مقدس للغاية فهو في نظره وسيلة للتحرر والثقافة والرقي والازدهار، فعمل على نشره وتعميمه بين أبناء شعبه صغيرهم وكبيرهم لتوعيتهم وتثقيفهم، باعتباره نقيض الجهل والأمية التي لا يخفى على أحد مساوئها سواء على الفرد أو على المجتمع، كما حرص على تعليم يساير تطورات مجتمعه وحالته الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، ويراعي لغته ودينه وتقاليده وعاداته، فأنشأ بذلك المدارس وكون الشهادة الابتدائية، وأسس المعاهد انتقالا إلى المرحلة الثانوية، وحرص على رسمية اللغة العربية فيهما باعتبارها لغة الدين والقرآن ولغة الجزائر المسلمة، كما دعا إلى تعليم البنت الجزائرية باعتبارها مربية الأجيال ومنشئة الرجال، واهتم بفضل ثقافته ونبوغه في العلم بأركان التعليم ومقوماته التي لا يتأسس إلا بها ولا ينجح إلا باتحادها، فاهتم بالمعلم وعطف عليه عطف الأب على أبنائه واشترط فيه مهارات وصفات تلزمه في تعليم أبنائهن كما قدم للمتعلم كافة النصائح في طلب العم والرحلة من أجله والجهاد في سبيله، واهتم بالمادة التعليمية التي يقدمها المعلم إلى تلميذه فاشترط فيها السهولة والوضوح ومسايرة روح العصر، ووضع المناهج والبرامج الصالحة التي تساعد على نجاح التعليم وتقدمه، مستمدة في مجملها من روح القرآن والسنة النبوية، وسار على منهج الرسول صلى الله عليه وسلم في تعليم الصحابة، فنصح المعلمين باتباع طرقه في التدريس، كما دعا إلى توفير الوسائل المساعدة على تعليم النشء وتربيتهم تربية إسلامية صالحة.

وقد تبين لنا من خلال المقارنة السطحية بين التعليمية الإبراهيمية و التعليمية الحديثة أنهما تتفقان وتختلفان في نفس الوقت، إذ تتفقان في بعض المبادئ المسطرة اتجاه المعلم وميزاته ومهاراته، وصفات المتعلم وواجباته، وفي بعض الطرق والوسائل التعليمية، غير أنهما تختلفان في بعض مضامين المناهج والبرامج، وبعض مبادئ التربية والصفات الأخلاقية التي تمسك الإبراهيمي بها، في مقابل تخلي التعليمية الحديثة عن بعض أجزائها، والتي تعتبر أساس التعليم وجوهره.

خاتـــمـــــــة

بعد تتبعنا لمسيرة "محمد البشير الإبراهيمي" الحافلة بالإنجازات العظيمة في مجال الإصلاح والكفاح والتربية والتعليم توصلنا إلى النتائج التالية:

1- عرف التعليم الجزائري تدهورا كبيرا بمجرد دخول المحتل الفرنسي الأراضي الجزائرية ومحاولته نشر الجهل والأمية بين أبنائها بالقضاء على التعليم العربي الإسلامي وإحلال محله التعليم الفرنسي النصراني، غير انه بفضل الكبار من العلماء والمدافعين عن الدين والوطن أمثال العلامة الكبير الإمام "محمد البشير الإبراهيمي"، وبفضل الإصلاحات التي عرفتها المنظومة الجزائرية تم تصحيحه شيئا فشيئا بعد الاستقلال بتبني مناهج وبرامج تتماشى وواقع المجتمع الجديد.

2- ساهمت جمعية العلماء المسلمين بفضل جهود أعضائها في إحياء التعليم الجزائري وإخراجه من بوتقة التبعية إلى بوتقة الاستقلالية، بتطهيره من أيدي المحتل الفرنسي عن طريق تعميم التعليم والمطالبة بحريته وإحياء اللغة العربية فيه، واسترجاع اماكن التدريس الخاصة به من الأوقاف والمساجد والمعاهد وغيرها.

3- إن العلامة محمد البشير الإبراهيمي من المعلمين النادرين الرائدين في المجال التعليمي، رغم وحشية الاستعمار واندلاع الثورة والظروف القاهرة، إلا أن ذلك لم يحد من عزيمته أو يضعف من إرادته، فاتخذ العلم سلاحا قويا في وجه المستعمر وغداء ضروريا لمحاربة الأمية التي كانت هدف الاستعمار الأول.

4- اهتم البشير الإبراهيمي بكافة الإشكاليات المتعلقة بالتعليمية: ماذا أعلم؟ لماذا أعلم؟ من أعلم؟ كيف أعلم؟، فقدم نصائح قيمة ترشد المعلم إلى كيفية التعامل مع المتعلم وتربيته على العلم والفضيلة والأخلاق والتربية الحسنة، و علمه كيفية تعليمه بالاعتماد على كلام الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، واتباع القرآن الكريم وطرق الرسول صلى الله عليه وسلم في تعليم أصحابه دليلا ومرشدا لطرق التعليم ومناهجه، ورفع من قيمة المتعلم في وطنه وحثه على طلب العلم والرحلة في سبيله والاستزادة منه من مختلف البقاع والأقطار حتى يفيد به أمته ويدافع عن مجدها وقوتها ويجعلها في أعلى مراتب التقدم والازدهار.

5- إن اهتمام الشيخ الإبراهيمي بالأصول والأسس المنهجية للعملية التعليمية التربوية من المعلم إلى المتعلم إلى المادة والطريقة، يدل على مدى النظرة السديدة والفكر الصائب الذي يتمتع به الإبراهيمي، والذي جعله يضع اللبنة الصلبة والقاعدة المحكمة لبناء العقلية المتحررة لدى التلاميذ والطلبة الجزائريين، تمكن من خلالها بإخراج جيل ونشء يؤمن بالحرية والاستقلال، ويؤمن بأن قاعدة الحياة هي الدين والعلم والتربية الصالحة.

6- غاية وهدف المدرسة العربية حسب محمد البشير الإبراهيمي تكمن في التربية الصحيحة للنشء في العقل والبدن، وتفقيهه في دينه ولغته وتاريخه، وتعليمه أصول عربيته.

7- إذن يعد الإبراهيمي علم من أعلام العروبة والإسلام ونابغة من النوابغ العظام الذي لا يأتي الزمان بمثلهم إلا في فترات من التاريخ، فيكون في وجودهم إرهاصا لبعث جديد وتطور وتجديد، كان شاعرا وكاتبا وصحفيا وخطيبا موجها حكيما ومصلحا اجتماعيا عظيما، مليئا بالحيوية، صادق الإيمان ببناء الأمة عن طريق التعليم والمحافظة على عروبة الجزائر وإسلامها، فأمضى حياته مجاهدا في سبيل ثلاث كلمات: اللغة العربية، الإسلام، الجزائر، مات وبموته أسدل الستار عن مدرسة من مدارس سلف الأمة، مدرسة جمعت بين غزارة العلم ودقة الفهم والسماحة والحلم، وهو بأصدق كلمة، دائرة معارف إسلامية، علم وأرشد وأسس المؤسسات العلمية وسعى إلى توحيد صفوف الأمة بالعلم والدين والأخلاق، ولا يمكن الحديث عن التعليم العربي إلا بالحديث عن البشير الإبراهيمي.

الملاحق

1/ التعريف بالعلامة الإمام محمد البشير الإبراهيمي:

"هو محمد البشير الإبراهيمي، ولد يوم الخميس في الثالث عشر من شهر شوال سنة 1306 هجري، الموافق للرابع عشر من يونيو سنة 1889 ميلادي، في قبيلة "أولاد إبراهيم بن يحي بن مساهل" التي ترفّع نسبها إلى "إدريس بن عبد الله الجذم الأول للأشراف الأدارسة" بقرية "رأس الوادي" بناحية مدينة سطيف.

بدأ في التعلّم وحفظ القرآن الكريم وهو في الثالثة من عمره على يد جماعة من أقاربه من حفظة القرآن تحت إشراف عمه "الشيخ محمد المكي الإبراهيمي" الذي تولّى تربيته وتعليمه بنفسه عندما بلغ سبع سنوات من عمره، وما إن بلغ تسع سنين حتى كان حافظا للقرآن مع فهم مفرداته وغريبه وحافظا لألفية ابن مالك، وجمع الجوامع في الأصول، وتلخيص المفتاح للقزويني، وأشعار القدماء ورسائل البلغاء، وكانت لهذه الكتب الأربعة (كتاب المتحفّظ للأجدابي الطرابلسي، والألفاظ الكتابية للهمذاني، والفصيح لثعلب، وإصلاح المنطق للسكيت) عظيم الأثر في إثراء ملكته اللغوية.

وعندما بلغ الحادية عشر من عمره كان يحفظ الكثير من الكتب بفضل عمه الذي تدرج به من كتاب إلى كتاب تلقينا وحفظا ومدارسة للمتون، ولم يرهق ذلك البشير الإبراهيمي لأن الله وهبه حافظة خارقة للعادة وقريحة نيّرة وذهنا صيّورا للمعاني ولو كانت بعيدة، وختم بذلك الفصول الأخيرة من ألفية ابن مالك على عمّه وهو على فراش الموت.

وبعد وفاة عمّه شرع في تدريس العلوم التي درسها عليه على طلبته الذين كانوا زملاء في صفه، وانتقل بعد ذلك إلى بعض المدارس القبليّة القريبة لسِعتها وحسن مرافقها ودام على تلك الحال إلى أن جاوز العشرين من عمره، فتاقت نفسه إلى الهجرة نحو الشرق فاختار المدينة المنورة ثم القاهرة، فأقام بها ثلاثة أشهر حضر خلالها العديد من دروس العلم والتقى فيها بأحمد شوقي وحافظ إبراهيم، حيث أسمعهما ما يحفظ من أشعارهما، ثم خرج من القاهرة قاصدا المدينة المنورة أين التقى فيها بالشيخ "العزيز الوزير التونسي" والشيخ "حسين أحمد الفيض أبادي الهندي" ، ومنهما استمد العلم والمعرفة وتكاملت ملكته في شتى العلوم، حتى صار يلقي دروسا في العلوم التي

استكمل علمه بها، كالنحو والصرف والعقائد والأدب، ولم ينقطع عن إلقاء الدروس حتى في الحرب العالمية الأولى سنة 1917م، ورحل بعدها مع والده إلى دمشق بأمر من الحكومة العثمانية آنذاك بترحيل كامل السكان إليها، وبعد شهر من بقائه انهالت عليه طلبات التعليم في المدارس الأهلية، فاستجاب لبعضها وألقى فيها دروس الوعظ والإرشاد، إضافة إلى تدريسه الآداب العربية.

وكان من تدابير الأقدار الإلهية للجزائر أن وصل به إلى المدينة المنورة العلامة "عبد الحميد بن باديس"، فزاد اتصالهما وكثرت مسامرتهما إلى وقت متأخر من الليل، وما كانت تلك الأسمار المتواصلة إلى تدبيرا للوسائل التي تنهض بها الجزائر، ووضع البرامج المفصلة لتلك النهضات الشاملة التي كانت صورا ذهنية تتراءى في مخيلتهما، وكانت سنة 1913م هي السنة التي وُضعت فيها الأسس الأولى لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي لم تبرز للوجود إلا في سنة 1931م.

رجع بعدها ابن باديس إلى الجزائر، وتبعه في ذلك البشير الإبراهيمي بعد إقناع والده بأن عودته إلى الجزائر تحتم عليه إحياء الدين والعربية وقمع الابتداع والضلال وإنكاء الاستعمار الفرنسي، وما إن حلّ بلده حتى شرع من أول يوم في العمل الذي يؤازر عمل ابن باديس تنفيذا للخطوات التي اتفقا عليها اثناء لقاءاتهما، فبدأ أولا بعقد الندوات العلمية للطلبة والدروس الدينية للجماعات القليلة، ثم إلقاء الدروس المنظمة للتلامذة الملازمين، وبعدها إلقاء المحاضرات التاريخية والعلمية على الجماهير الحاشدة في المدن العامرة والقرى الأهلية، وإلقاء دروس في الوعظ والإرشاد الديني، ثم أسس بعدها مدرسة صغيرة بُغية تكوين طائفة من الشبان وتمرينهم على الخطابة والكتابة وقيادة الجماهير بعد تزويدهم بالغداء الضروري من العلم.

ورغم أن الحكومة الفرنسية شكّكت فيه ولاحقته من مكان إلى مكان بالتقارير، وضيقت الخناق على كل زائر له من تونس أو الحجاز، إلا أنه لم ينقطع عن إلقاء الدروس لطلاب العلم، وفي العشر سنوات من سنة 1920 إلى 1930م، كانت الدعائم الأولى لجمعية العلماء المسلمين قد تأسست على يد "البشير الإبراهيمي" و"عبد

الحميد بن باديس" فخرجت إلى الوجود سنة 1931م، وأصبحت جمعية حقيقية واقعية قانونية، انتقلت من الفعل إلى العمل.

استمرت بعدها جهود الإبراهيمي في تكوين الشعب الجزائري للنهوض بالأمة ومواجهة الاستعمار وإخراجه من البلاد، ولما ضاقت فرنسا ذرعا بأعماله اصدرت قرارا بنفيه إلى الصحراء الوهرانية وذلك أثناء نشوب الحرب العالمية الثانية، لأن في بقائه حرا خطر على الدولة، وكان ذلك في العاشر من مارس سنة 1940م، وبعد استقراره في المنفى بأسبوع تلقى خبر وفاة الشيخ عبد الحميد بن باديس بداره في قسنطينة، فاجتمع المجلس الإداري للجمعية ورؤساء الشعب يوم وفاته وانتخبوا الإبراهيمي رئيسا لجمعية العلماء بالإجماع، فأصبح بعد تلقّيه الخبر يدير الجمعية ويصرف أعمالها من المنفى بالرسائل المتبادلة بينه وبين الرسل الثقات إلى أن خرج منه سنة 1943م. تواصلت أعماله بعد المنفى بجدية وعزيمة أقوى مما كانت عليه، ولما رأت فرنسا أن عقابها له بالتغريب لم تكفي لكسر شرّه، ألقت به في السجن العسكري تمهيدا لمحاكمته بتهمة التدبير للثورة، وكان ذلك إثر حوادث 8 ماي 1945م، ولكنه لم يلبث السنة فيه وخرج بعفو عام صدر على مدبّري الثورة ومجرميها، وبعد خروجه عاد إلى أعماله بإرادة أقوى مما كانت عليه، فاستمر في إلقاء الدروس وفتح المدارس وأشرف على رئاسة وإدارة جريد عيون البصائر بعد إعادة إحيائها سنة 1946م، فثقلت أعبائها وأعباء الجمعية عليه ولكن الله خفّف عليه أثقالهما".[1]

"سافر بعدها إلى المشرق العربي للمرة الثانية سنة 1952م ممثلا لجمعية العلماء، طالبا للإعانة المادية والمعنوية للجمعية حتى تستطيع مواصلة أعمالها وجهادها، ومعّرفا بالقضية الجزائرية في الأوساط السياسية ولدى جامعة الدول العربية، ثم عاد بعد الاستقلال إلى وطنه سنة 1962م، وهناك اضطر إلى التقليل من نشاطه بسبب تدهور صحته من جهة، وبسبب سياسة الدولة التي شعر أنها زاغت عن الاتجاه الإسلامي من جهة أخرى".[2]

(1) بتصرف: محمد البشير الإبراهيمي، أنا ، الثقافة ، العدد 87 ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، وحدة الطبع المتعددة ، ورشة أحمد زبانة ، الجزائر، 1985 ، ص ص 11-29.

(2) بتصرف: أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ، ج1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1997 ، ص ص 12-13.

توفي البشير الإبراهيمي والعلامة الجزائري، رائد ركب النهضة الوطنية، يوم الخميس 20 ماي 1965م، بعد أسبوع قضاه الطب والأطباء من أبنائه وتلامذته في محاولات يائسة لإنقاذ حياته الغالية.

2/ مؤلفاته:[1]

- عيون البصائر.
- كتاب "بقايا فصح العربية في اللهجة العامية بالجزائر".
- كتاب "النقايات والنفايات في لغة العرب".
- كتاب "أسرار الضمائر في العربية".
- كتاب "التسمية بالمصدر".
- كتاب "الصفات التي جاءت على وزن فعل".
- كتاب "نظام العربية في موازين كلماتها".
- كتاب "الإطراد والشذوذ في العربية".
- كتاب "ما أخلت به كتب الأمثال السائرة".
- كتاب "حكمة مشروعية الزكاة في الإسلام".
- كتاب "شعب الإيمان".
- رواية "كاهنة أوراس".
- رسالة في الفرق بين لفظ المطرد والكثير عند ابن مالك.
- رسالة في مخارج الحروف وصفاتها بين العربية الفصيحة والعامية.
- رسالة في ترجيح أن الأصل في بناء الكلمات العربية ثلاثة أحرف لا اثنان.

(1) محمد البشير الإبراهيمي، أنا ، الثقافة ، المرجع السابق ، ص ص 32-33.

– ملحمة رجزية نظمها في السنين التي كان فيها مبعدا في صحراء وهران، وتبلغ 3600 بيت من الرجز السّلس اللّزومي، وقد دارت موضوعاتها حول تاريخ الإسلام والمجتمع الجزائري، وكان الإبراهيمي يعتز بها كثيرا.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

– القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

– الحديث الشريف.

✓ **المصادر والمراجع:**

1– أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، من القرن العاشر إلى الرابع عشر هجري (16–20م) ، الجزء الأول ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ط2 ، 1985م.

2– أحمد المهدي عبد الحليم وآخرون، المنهج المدرسي المعاصر: أسسه، بناؤه، تنظيماته، تطويره ، تحرير: رشدي أحمد طعيمة ، دار المسيرة ، عمان– الأردن ، ط1 ، 2008م.

3– أحمد حساني، دراسات في اللسانيات التطبيقية: حقل تعليمية اللغات ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الساحة المركزية ، بن عكنون– الجزائر ، ط2 ، 2009م.

4– أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ، الجزء الأول ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت– لبنان ، ط1 ، 1997م.

5– أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ، الجزء الثاني ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت– لبنان ، ط1 ، 1997م.

6– أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ، الجزء الثالث ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت– لبنان ، ط1 ، 1997م.

7– أحمد مختار عضاضة ، التربية العملية التطبيقية ، مؤسسة الشرق الأوسط ، بيروت– لبنان ، ط3 ، 1962م.

8– المعهد الوطني لتكوين مستخدمي التربية وتحسين مستواهم، النظام التربوي والمناهج التعليمية ، شارع أولاد سيدي الشيخ ، الحراش– الجزائر ، 2004م.

9– أمحمد تيغزى وآخرون، قراءات في الأهداف التربوية ، د.د ، باتنة– الجزائر ، ط1 ، 1994م.

10– تركي رابح، الشيخ عبد الحميد بن باديس، فلسفته وجهوده في التربية والتعليم (1900-1940) ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، د.س.

11– توفيق أحمد مرعي ، محمد محمود الحيلة، المناهج التربوية الحديثة، مفاهيمها وعناصرها وأسسها وعملياتها ، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة ، عمان- الأردن ، ط4 ، 2004م.

12– حسين عبد الحميد أحمد رشوان، العلم والتعليم والمعلم من منظور علم الاجتماع ، مؤسسة شباب الجامعة للنشر ، الإسكندرية- مصر ، د.ط ، 2006م.

13– حفيظة تازورتي، اكتساب اللغة العربية عند الطفل الجزائري ، دار القصبة للنشر ، الجزائر ، د.ط ، 2003م.

14– رزق فايز بطاينة، المناهج التربوية: المفهوم، العناصر، الأسس، أنواعها، التطوير ، جدارا للكتاب العالمي ، عالم الكتب الحديث ، الأردن ، ط1 ، 2006م.

15– سعيد حسني العزة، صعوبات التعلم: المفهوم، التشخيص، الأسباب ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، عمان- الأردن ، ط1 ، 2007م.

16– صالح بلعيد، دروس في اللسانيات التطبيقية ، دار هومة ، الجزائر ، ط7 ، 2012م.

17– عبد القادر فضيل، المدرسة في الجزائر: حقائق وإشكالات ، تقديم: عبد الحميد مهري ، جسور للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ط2 ، 2013م.

18– عزت جرادات وآخرون، أسس التربية ، دار صفاء للنشر والتوزيع ، عمان- الأردن ، ط1 ، 2008م.

19– عزيزي عبد السلام، مفاهيم تربوية بمنظور سيكولوجي حديث ، دار ريحانة للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ط1، 2003م.

20– علي أوحيدة، الموجه التربوي للمعلمين في اللغة العربية ، مطبعة عمار قرفي ، باتنة- الجزائر ، ط2 ، 1995م.

21– فايز مراد دندش، اتجاهات جديدة في المناهج وطرق التدريس ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، الإسكندرية– مصر ، ط1 ، 2003م.

22– فايز مراد دندش، في أصول التربية ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، الإسكندرية– مصر ، ط1 ، 2004م.

23– محمد السيد علي، اتجاهات وتطبيقات حديثة في المناهج وطرق التدريس ، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة ، عمان– الأردن ، ط1 ، 2011م.

24– محمد الصالح حثروبي، الدليل البيداغوجي لمرحلة التعليم الابتدائي، دار الهدى ، عين مليلة– الجزائر ، د.ط، 2012م.

25– محمد الصالح حثروبي، نموذج التدريس الهادف، أسسه وتطبيقاته ، دار الهدى ، عين مليلة– الجزائر ، د.ط، د.س.

26– محمد الطاهر فضلاء، الإمام الرائد الشيخ محمد البشير الإبراهيمي ، نشر وطبع وتوزيع مكتبة ومطبعة البعث ، قسنطينة– الجزائر ، 1967م.

27– مجدي عزيز إبراهيم، تنمية تفكير المعلمين والمتعلمين: ضرورة تربوية في عصر المعلومات ، عالم الكتب ، د.ب ، ط1 ، 2006م.

28– محمود داود سلمان الربيعي، طرائق وأساليب التدريس المعاصرة ، جدارا للكتاب العالمي ، عالم الكتب الحديث ، الأدرن ، ط1 ، 2006م.

29– محمد مزيان وآخرون، قراءات في طرائق التدريس ، د.د ، باتنة– الجزائر ، ط1 ، 1994م.

30– محسن علي عطية، تدريس اللغة العربية في ضوء الكفايات الأدائية ، دار المناهج للنشر والتوزيع ، عمان– الأردن ، ط1 ، 2007م.

✓ **المجلات:**

1– مجلة الثقافة ، مجلة تصدرها وزارة الثقافة والسياحة بالجزائر ، العدد 87 ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، وحدة الطبع المتعددة ، ورشة أحمد زبانة ، الجزائر ، 1985م.

2– محمد البشير الإبراهيمي، البصائر(1947-1948) ، العدد 1-45 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت- لبنان ، ط1 ، 2006م.

3– محمد البشير الإبراهيمي، البصائر(1948-1949) ، العدد 46-90 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت- لبنان ، ط1 ، 2006م.

4– محمد البشير الإبراهيمي، البصائر(1949-1950) ، العدد 91-135 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت- لبنان ، ط1 ، 2006م.

5– محمد البشير الإبراهيمي، البصائر(1953-1954) ، العدد 226-270 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت- لبنان ، ط1 ، 2006م.

6– محمد البشير الإبراهيمي، البصائر(1954-1955) ، العدد 271-316 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت- لبنان ، ط1 ، 2006م.

✓ **المقالات:**

1– نور الدين قايد ، حكيمة سبيعي، التعليمية وعلاقتها بالأداء البيداغوجي والتربية ، مجلة الواحات للبحوث والدراسات ، العدد 8 ، د.د غرداية ، الجزائر ، 2010م.

✓ **المعاجم:**

1– مجمع اللغة العربية، معجم الوسيط ، مكتبة الشروق الدولية ، د.د ، د.ب ، ط2 ، مجلد 1 ، 2004م.

✓ **الرسائل الجامعية:**

1– بيوط وافية وآخرون، دور المتعلم في عملية التعليم والتعلم – تعليم اللغة العربية في الطور الابتدائي نموذجا– ، مذكرة لنيل شهادة الليسانس في اللغة العربية وآدابها ، كلية الآداب واللغات والعلوم الاجتماعية ، قسم اللغة والأدب العربي ، 2010-2011م.

✓ **المواقع الإلكترونية:**

1– https:www.maghress.com/alittihad.

فهـــرس المحتويـــات

فهرس المحتويات:

	الصفحة
مقدمة	أ – هـ
مدخل	7
الفصل الأول: التعليم والتعليمية في المدارس الجزائرية	53-13
تمهيد	13
1/ مفهوم التعليم والمناهج التعليمية	36-14
1/ مفهوم التعليم والتعليمية	15
1-1/ مفهوم التعليم	15
1-2/ مفهوم التعليمية	17
1-3/ أقطاب العملية التعليمية	19
المعلم	20
المتعلم	21
المادة التعليمية	22
2/ المناهج التعليمية المقررة في المدارس الجزائرية	22
1/ مفهوم المناهج التعليمية	22
1-1/ مفهوم المنهاج	23
1-2/ أسس بناء المناهج	25
1-3/ مبررات تطوير المناهج التعليمية	26
2/ المناهج التعليمية المتبعة في المنظومة التربوية الجزائرية	27
2-1/ المناهج التقليدية	27
2-2/ المقاربة بالأهداف	29
2-3/ المقاربة بالكفاءات	31
3/ دور التعليمية في تطوير التعليم الجزائري	33
2/ البدايات التاريخية للتعليم الجزائري على يد محمد البشير الإبراهيمي	52-37
1/ المراحل التاريخية للتعليم في الجزائر	37
1-1/ التعليم في الجزائر قبل الاحتلال	38
1-2/ التعليم في الجزائر في عهد الاحتلال	39

1-3/ التعليم في الجزائر بعد الاستقلال	41
2/ نشأة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين	44
2-1/ نشأتها	44
2-2/ أهدافها	46
2-3/ أعمالها	47
2-4/ خزينتها	48
3/ إعادة إحياء البشير الإبراهيمي للتعليم في الجزائر	49
خاتمة الفصل	53
الفصل الثاني: الإسهامات التعليمية للبشير الإبراهيمي	122-55
تمهيد	55
1/ التعليم ومقومات العملية التعليمية عند البشير الإبراهيمي	80-56
1/ التعليم عند البشير الإبراهيمي	56
1-1/ اهتمام الإبراهيمي بالتعليم الابتدائي	58
1-2/ تعليم البنت الجزائرية	58
1-3/ المدارس مراكز التعليم	60
1-4/ معهد عبد الحميد بن باديس	62
1-5/ تعلم اللغة العربية والتعليم بها	64
1-6/ نجاح التعليم عند البشير الإبراهيمي	66
2/ مقومات العملية التعليمية عند البشير الإبراهيمي	68
2-1/ المعلم/ الأستاذ	68
2-2/ المتعلم/ الطالب	76
2-3/ المادة التعليمية/ المحتوى	79
2/ مناهج التعليم عند البشير الإبراهيمي	95-81
1/ المناهج التعليمية الصالحة عند البشير الإبراهيمي	81
1-1/ المناهج التعليمية بمفهومها القديم	81
1-2/ مناهج التربية والتعليم الصالحة في نظر البشير الإبراهيمي	82
2/ برامج التعليم عند البشير الإبراهيمي	91
2-1/ برنامج التعليم الابتدائي	91
2-2/ برنامج التعليم الثانوي	93

3/ طرق التعليم ووسائله عند البشير الإبراهيمي	106-96
1/ طرق التعليم الصحيحة في نظر البشير الإبراهيمي	96
2/ وسائل التعليم عند البشير الإبراهيمي	101
2-1/ الكتاب المدرسي	101
2-2/ المكتبات	103
2-3/ الرحلات	105
4/ التعليم وعناصر العملية التعليمية في المنظومة التربوية الحديثة	107
1/ التعليم	107
2/ أركان العملية التعليمية	108
2-1/ المعلم	108
2-2/ المتعلم	113
2-3/ المادة التعليمية	114
3/ المناهج التعليمية	115
4/ طرق التعليم	117
4-1/ الطريقة الإلقائية أو الإخبارية	118
4-2/ الطريقة الحوارية	118
4-3/ الطريقة الاستقرائية أو الاستنباطية	118
4-4/ الطريقة التلقينية	119
4-5/ الطريقة القياسية أو الاستنتاجية	119
5/ وسائل التعليم	120
5-1/ السبورة	120
5-2/ الكتاب المدرسي	120
5-3/ الراديو	121
5-4/ الأسطوانات	121
5-5/ المسابقات	121
5-6/ الأنترنيت	121
5-7/ الرحلات	121
5-8 الحفلات	122
5-9/ الحاسوب	122

خاتمة الفصل	123
خاتمة	126-125
الملاحق	128
قائمة المصادر والمراجع	133
فهرس المحتويات	138